الفصل الأول

التعليل بالحروف

لم يُشِر سيبويه إلى طبيعة المعنى المدلول عليه بالحروف ؛ فقد ذكر عن الحروف قوله : "وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثم ، وسوف ، وواو القسم ، ولام الإضافة ، ونحوها"[١] . وقد بقيت فكرة سيبويه هذه هي المعروفة عند النحاة من بعده ؛ فصار التعريف الشائع بين النحاة مأخوذًا من ذلك أي : "الحرف ما دلَّ على معنى في غيره"[٢] .

ولمَّا كان النحاة لم يحددوا طبيعة المعنى الذي يدل عليه الحرف لعدم استقلاله بالمفهومية خارج السياق ، فقد تعددت معاني الحروف ؛ فلم يذكر سيبويه للباء -مثلًا- إلا معنى الإلصاق[٣] ، وذكر لها المرادي ثلاثة عشر معنى[٤] ، في حين ذكر ابن هشام لها أربعة عشر معنى[٥]، وقال بعض النحاة بإنابة الحروف بعضها عن بعض ، ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه : ٧١) أي على جذوع النخل ، وكقولهم: رميت بالقوس أي عنها وعليها ؛ كقول الشاعر :

أَرْمِي عَلَيْهَا وَهْيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهْيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ[٦]

وقال ابن جني في ذلك : "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ؛ لكنا نقول : إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع ، على حسب الأحوال الداعية له والمسوِّغة له ، وأما في كل موضع وفي كل حال فلا"[٧] . وقال أيضًا : "واعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان

---

(١) الكتاب : ١ / ١٢ .

(٢) شرح الرضي على الكافية : ١ / ١٤ .

(٣) الكتاب : ٤ / ٢١٧ .

(٤) الجنى الداني : ٣٦ - ٤٥ .

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان (١٤١١هـ - ١٩٩١م) : ١ / ١١٨ - ١٢٣ .

(٦) الخصائص : ٢ / ٣٠٧ . و(فرع أجمع) أي عملت من غصن ولم تعمل من شق عود .

(٧) الخصائص : ٢ / ٣٠٨ .

أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر ، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"[١] .

ومن هنا كثرت الحروف التي تفيد العلة والسببية . وهذه الحروف منها ما يفيد التعليل مع الأسماء ؛ وهي : (إلى ، وإنَّ ، والباء ، وعلى ، وعن ، وفاء العطف -عند دخولها على السبب- وفي ، والكاف ، وكأنَّ ، ولعلَّ ، ومِن)، ومنها ما يفيد التعليل مع الأفعال ؛ وهي : (إذ ، وأنْ ، وأو ، وحتَّى ، وفاء السببية ، وكما ، وكي ، والواو) ، ومنها ما يسبق الأسماء والأفعال مفيدًا التعليل ؛ وهو حرف وحيد هو (اللام) . وفيما يلي تفصيل لتلك الحروف .

أولًا : الحروف الأحادية :

١- التعليل بالباء :

الباء حرف جر ذكر النحويون أن لها خمسة عشر معنى[٢] من بينها التعليل ، وهو -عند طائفة منهم- راجع إلى الإلصاق ؛ إذ إن هذا الأخير عندهم معنى لا يفارقها ، وهو أصل معانيها[٣] ، ولهذا اقتصر عليه سيبويه وسمَّاه الإلزاق ، قال : "وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط ... فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله"[٤] ، من أجل ذلك رأى قسم من العلماء أن معنى التعليل فيها معنى مجازي[٥] .

---

(١) الخصائص : ٢ / ٣٠٨ .
(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ٢ / ٣٢٨ .
(٣) الجنى الداني : ٣٦ .
(٤) المصدر والصفحة أنفسهما .
(٥) حاشية العطار على جمع الجوامع : العلامة الشيخ حسن العطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (بدون تاريخ) : ٢ / ٣٠٧ .

والتعليل بالباء هو تعليل بذكر السبب ؛ إذ "يكون ما بعدها سببًا وعلةً فيما قبلها"[1] ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة :٥٤) "الباء سببية"[2] فالباء هنا داخلة على السبب ؛ إذ إن ظلمهم أنفسهم مسبَّب من اتخاذهم العجل ، أي : ظلمتم أنفسكم بسبب اتخاذكم العجل ، ومثله قوله تبارك وتعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾[3] (العنكبوت : ٤٠) فالذنب سبب الأخذ وهو متقدم عليه ذهنًا وخارجًا ، والتقدير: أخذناه بسبب ذنبه . وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران :١٠٣) . وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[4] (الأنفال : ٥٤) وكذا قول الشاعر :

"إِنَّمَا يُنْكِرُ الدِّيَانَاتِ قَوْمٌ هُمْ - بِمَا يُنْكِرُونَهُ - أَشْقِيَاءُ

أي : هم أشقياء بسبب ما ينكرونه"[5] .

واختلف النحويون في تسمية هذه الباء ، فقسم سمَّاها (باء التعليل) كالإربلي، والمرادي[6] . والأكثر سمَّاها (باء السببية) استغناء عن الأولى كالمالقي وابن هشام[7] . على أن هناك من جمع بين التسميتين ، وهذا الجمع على قسمين :

القسم الأول : فيه أنَّ باء التعليل هي الداخلة على سبب الفعل كما مرَّ في الأمثلة السابقة . وباء السببية : "هي الداخلة على صالح للاستغناء به عن فاعل معداها مجازًا"[1] ، كذا

---

(١) النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة : الأستاذ عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ (بدون تاريخ) : ٢ / ٤٩٠ .

(٢) تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي ، (ت : ٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان : ١/ ٣٦٥ ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان (١٤١١هـ - ١٩٩١م) : ١ / ١٢٠ ، همع الهوامع : جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) : ٢ / ٣٣٥ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون تاريخ) : ١ / ٢٥٩ .

(٣) رصف المباني : ١٤٤ .

(٤) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٥) النحو الوافي : ٢ / ٤٩٠ .

(٦) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب : علاء الدين بن عليّ بن بدر الدين بن محمد الإربلي ، مصر (١٨٧٧م) : ١٧ ، الجنى الداني : ٣٩ .

(٧) رصف المباني : ١٤٤ ، مغنى اللبيب : ١/ ١٢٠ .

عرَّفها ابن مالك ووافقه صاحب جواهر الأدب[٢] . ومثلوا لها بقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢ ، إبراهيم : ٣٢) ففاعل الفعل (أخرج) يصح الاستغناء عنه ؛ إذ لو قُصِدَ إسناد الفعل إلى مجرور الباء (الضمير الهاء) وقيل : (أنزل ماءً أخرج من الثمرات رزقًا) لصح وحسُن، لكنه هنا مجاز وفي الآية حقيقة [٣] ومنه قولنا : (كتبت بالقلم ، قطعت بالسكين) إذ يجوز أن يُقَال : (كتب القلمُ ، قطعت السكينُ)[٤] بالاستغناء عن الفاعل بمجرور الباء .

والذي يبدو جليًّا هنا أن الباء في الأمثلة جميعًا باء الاستعانة ، و "هي التي تدخل على الاسم المتوسط بين الفعل ومفعوله الذي هو آلة"[٥]، أو "هي الداخلة على آلة الفعل"[٦]، جاء في جواهر الأدب : "وكان القدماء يسمونها-أي باء السببية- باء الاستعانة"[٧]، إلا أنهم سموها بالسببية لأنها وقعت في كلام الله تعالى وهو أجلُّ من أن يستعين بشيء ، فلم يجز استعمال الاستعانة في أفعاله ويجوز السببية [٨].

ويبدو أن الأصحَّ أن باء السببية هي باء التعليل ولا يجوز إطلاقها على باء الاستعانة وذلك لأسباب :

١- أن معظم النحاة رأوا التفريق بين السببية والاستعانة ، واستغنوا بالسببية عن التعليل أو العكس ،كابن مالك (في الألفية) والمالقي وأبي حيان والمرادي[٩] .

---

(١) الجنى الداني : ٣٩ .
(٢) جواهر الأدب : ١٧ .
(٣) الجنى الداني : ٣٩ .
(٤) المصدر والصفحة أنفسهما .
(٥) همع الهوامع : ٢ / ٣٣٥ .
(٦) الجنى الداني : ٣٨ ، مغني اللبيب : ١/ ١٢٠ .
(٧) جواهر الأدب : ١٧.
(٨) الجنى الداني : 39 ، همع الهوامع : ٢/ ٣٣٥ .
(٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل(٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) : ٣ / ٢٢ ، رصف المباني : ١٤٣-١٤٤ ، الجنى الداني : ٣٩ .

obeikandl.com

٢- أن تعريف باء السببية بأنها الداخلة على صالح للاستغناء عن فاعل معداها مجازًا قد تدخل فيه باء التعليل ، فمثلًا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة : ٥٤) يصلح أن يُنسَب الفعل فيه لما دخلت عليه باء التعليل فيُقال : (ظلمكم اتخاذكم العجل) .

٣- لا يصحُّ جعل القلم سببًا للكتابة والسكين سببًا للقطع والسيف سببًا للضرب بل سببه غير هذا . ومن أجله تكون لفظة الاستعانة أكثر صحة في الاستعمال من لفظة السببية .

٤- لا بأس في إطلاق لفظ الاستعانة في أفعال الله تعالى ، لا على معنى أن الله يستعين بما بعد الباء لفعل ما قبلها بل على معنى أنه عزَّ وجلَّ جعل ما بعد الباء آلة لفعل ما قبلها فقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢ ، إبراهيم : ٣٢) ليس معناه أن الله عزَّ وجلَّ قد استعان بالماء لإخراج الثمار ، بل على معنى أنه قد جعل الماء آلة لإخراجها ؛ فإطلاق لفظ الاستعانة شبيه لإطلاق القرآن الكريم بعض الأوصاف عليه تبارك وتعالى ، وهي مما يوصف بها البشر دونه .

القسم الثاني : وفيه أن باء التعليل وباء السببية يُؤتَى بهما لبيان العلة والسبب ، على فرق بينهما . قال يس الحمصي : "ذكر النحاة أن اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية وقال أكثرهم الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل ، وذكر ابن مالك السببية و التعليل وهذا صريح بأنهما مختلفان ، وذكروا أيضًا أن الباء للاستعانة وهذه غيرهما . والحاصل أن الباء الداخلة على الاسم الذي لوجوده أثر في وجود متعلقها إن صحَّ نسبة العامل إلى مصحوبها مجازًا فباء الاستعانة ، نحو : كتبت بالقلم ، وتُعرَف بأنها الداخلة على أسماء الآلات ، وإلا فإن كان المتعلق إنما وُجِد لأجل وجود مجرورها فباء العلة ، نحو : ﴿فَبِظُلْمٍ...﴾ ألا ترى أن وجود التحريم ليس إلا لوجود الظلم، وتُعرَف بأنها الصالحة غالبًا لحلول اللام محلها ، وإن لم يكن المتعلق كذلك فباء السببية، نحو : ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ ، ألا ترى أن إخراج الثمرات مسبَّب عن وجود الماء ولم يكن لأجل الماء بل لأجل مصلحة العباد"[1] .

---

(1) حاشية يس على شرح الفاكهي : يس بن زين الدين الحمصي (ت١٠٦١هـ) ، المطبعة الوهبية – مصر (١٢٩٢هـ) : ٢/ ١٨٤ .

والأشموني رأى أن الباء تفيد السببية في قوله تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ (العنكبوت: ٤٠) ، والتعليل في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء : ١٦٠)[١] . ومن ثَمَّ فإن كل نوع منهما قائم برأسه . ويرد على ذلك أمور :

١- أنه اشترط في باء الاستعانة أن تصح نسبة العامل إلى مصحوبها ، وهي تدخل على ما لوجوده أثر في وجود متعلقها ، ويدخل في هذا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وهو مثاله على باء العلة .

٢- أن ضابط باء العلة صحة حلول اللام محلها ، وقد يصدق ذلك على باء السببية ، ففي قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ الباء للسببية ، صرَّح بذلك أبو حيان وابن هشام[٢]، وهي عند الإربلي والزركشي بمعنى اللام[٣] ، أي : لاتخاذكم العجل . وقد يصدق ذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأعراف : ١٣٦) أي : لأنهم ، وهي باء السببية[٤] .

٣- أن قوله في التعليلية : إنما وُجِد المتعلق لأجل وجود مجرورها ، يُفهَم منه أن المعلول مقتصر على وجود العلة وحدها ، ومن أجله علَّق على ما مَثَّل به بقوله : إن وجود التحريم (ليس إلا) لوجود الظلم . وهذا يصدق على قوله عزَّ وجلَّ : ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (البقرة : ٢٧٣) إذ إن حصول المعرفة ليس إلا لوجود سيماهم ، وكذا قوله : ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران : ١٠٣) فحصول التآخي ليس إلا لوجود نعمته ، ومثله أيضًا قوله في آية الأعراف المتقدمة ، فحصول الإغراق ليس إلا لوجود تكذيبهم بالآيات . وعلى الرغم من ذلك عدَّ العلماء هذه الباء باء السببية[٥] .

---

(١) شرح الأشموني : ٢/ ٣٢٩ .
(٢) البحر المحيط : ١/ ٣٦٥ ، مغني اللبيب : ١/ ١٢٠ .
(٣) جواهر الأدب : ١٧ ، البرهان : ٤ / ٢٥٦ .
(٤) البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ .
(٥) البحر المحيط : ٢ / ٣٤٣ ، ٣ / ٢٢ ، ٤ / ٣٧٥ .

ولهذا علق الصبَّان على قول الأشموني قائلًا : "التعليل ينبغي إسقاطه ... لأن التعليلية والسببية شيء واحد"[١]، ومنع أن يوجه تمثيل الأشموني – المار الذكر – على أن المراد بباء السببية : التعليل بالسبب ، وبباء التعليلية : التعليل بالغرض ، قال : "ويمنع من توجيه صنيع الشارح بهذا تمثيله للتعليل بسبب متقدم – يعني في الذهن والخارج – وكان الموافق له أن يمثله بنحو(حفرت البئر بالماء)"[٢]؛ إذ إن الماء موجود في الذهن قبل الحفر ومراد الحصول عليه ، وهذا هو الغرض من الحفر .

٤- أن النحاة أحيانًا يُسَمُّون باء التعليل بالسببية ، وأحيانًا أخرى يُسَمُّون باء الاستعانة بالسببية، فأقوالهم عامةً يُستغنَى فيها بباء السببية عن ذكر باء الاستعانة تارة ، وعن ذكر باء التعليل تارة أخرى . وعليه لم يكن الأمر كما ذكر الشيخ يس ، ولم يكن ما تحصل لديه من أقوالهم صحيحًا .

٥- أن تفريق الشيخ يس بين باء العلة وباء السببية لم يعمل به النحويون إذ لم يفرقوا بينهما إلا نادرًا .

ونخلص من ذلك كله إلى أن باء التعليل وباء السببية اسمان للباء عندما تبين السبب ، والاستعانة معنى مختلف تفيده الباء عند دخولها على آلة الفعل .

٢- التعليل بالفاء :

تَرِدُ الفاء على أربعة أوجه : عاطفة ، وجوابية ، وللربط والسببية ، وزائدة[٣] .

والفاء تتضمن معنى التعليل عن طريق السبب في أغلب تلك الأوجه ، تفصيل ذلك في ما يأتي :

---

(١) حاشية الصبان : ٢ / ٣٢٩ .

(٢) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٣) الجنى الداني : ٦١ ، مغني اللبيب : ١ / ١٨٣ ، رصف المباني : ٣٧٦ ، البرهان في علوم القرآن : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث بالقاهرة : ٤ / ٢٩٨ .

obeikandi.com

الوجه الأول – الفاء العاطفة : وهي تفيد ثلاثة أمور : الترتيب والتعقيب والسببية غالبًا[١] . أما الترتيب فهو مفهوم من التعقيب إذ لا يمكن تصور تعقيب من دونه ، "والفاء للتعقيب أي لإفادة كون ما بعدها عقب ما قبلها بغير مهلة وتراخٍ"[٢]. والتعقيب هو المعنى الذي تختص به الفاء وتنسب إليه ، وما سواه عارض غير ملازم لها[٣] .

وأمَّا إفادتها السببية فعندما يكون ما قبلها -وهو المعطوف عليه- علةً وسببًا لما بعدها -المعطوف- وهذا يحمل أيضًا معنى التعقيب لأن "المعلول ينبغي أن يقع ثاني العلة بلا مهلة"[٤]، ومثال ذلك قولك : (ضربت زيدًا فغضب) فالضرب سبب لوجود الغضب ، والغضب وقع عَقِيب الضرب[٥] .

"والفاء العاطفة لا تخلو من أن تعطف جملة أو مفردًا صفة أو مفردًا غير صفة ، وهي عند عطفها مفردًا غير صفة لا تدل على السببية ، نحو(قام زيد فعمرو) ، وإن عطفت جملة أو صفة دلَّت عليها غالبًا ، مثال عطفها الجملة قوله عزَّ وجلَّ : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص : ١٥)"[٦] فالفاء سُبِقَت بما هو علة وسبب لما بعدها إذ إن القضاء عليه قد تسبب من وكز موسى(عليه السلام) له ، والسبب كما هو واضح متقدم على المسبب ذهنًا وخارجًا ، وجملة قضى معطوفة على جملة وكز ، ومثله قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة : ٣٧) ، والسبب كما هو واضح تقدم على الفاء .

---

(١) مغني اللبيب : ١ / ١٨٣- ١٨٥ .

(٢) شرح الدماميني على مغني اللبيب : الإمام محمد بن أبي بكر الدماميني (ت ٨٢٨هـ) ، صححه وعلق عليه : أحمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) : 2 / ٨٣ .

(٣) سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، دراسة وتحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) : ١ / ٢٥١ .

(٤) المصدر نفسه : ١ / ٢٥٢ .

(٥) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٦) الجنى الداني : ٦٤ ، مغني اللبيب : ١٨٥/١.

أما عطف الصفة فمُثِّلَ له بقوله تعالى : ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ(٥٤)﴾[1] [الواقعة] فملء البطون مسبَّب عن الأكل من الشجر ، ويُحتمَل أن يكون الشرب كذلك .

وقد لا تفيد الفاء السببية مع عطفها للجملة أو الصفة ، قال تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ... ﴾ (الذاريات: ٢٦-٢٧) إذ جاءت لمجرد الترتيب[2].

الوجه الثاني – الفاء الجوابية : فمعناها الربط وتلازمها السببية . وتأتي الفاء رابطة لجواب أمرين[3] :

الأول : الشرط بـ(إنْ) وأخواتها ، فتربط جملة الجواب بجملة الشرط . والفاء عندئذ تخلو من العطف وتحمل معنى السببية غالبًا فتفيد أن ما قبلها -الشرط- علة وسبب لما بعدها – الجواب- والجواب مسبَّب عن الشرط ، نحو قولك (إنْ تُحسنْ إلي فاللهُ مجازيك)[4] وقوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (النمل : ٨٩) إذ الإتيان بالحسنة (وهو الشرط) يسبب الحصول على خير منها ويسبب الأمن من فزع يومئذ (وهذان جواب) ، فما بعد الفاء مُسبَّب عمَّا قبلها .

أمَّا في قوله تعالى : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(المائدة : ١١٨) فنجد أن كونهم عبادًا لله غير مسبَّب عن تعذيبه لهم كما أن مغفرة الله عزَّ وجلَّ لهم ليست سببًا في كونه عزيزًا حكيمًا ، وهذا "صحيح بالنظر للظاهر بلا تقدير جواب ، أما مع تقديره فيتسبب عن الشرط ، ، وتقديره في الآية : إن تعذبهم فلهم الذل ، كما أن تقديره في التي بعدها : فلهم العز ، فيكون المذكور فيهما سببًا للشرط لا جوابًا له"[5] .

---

(1) الجنى الداني : ٦٥ ، مغني اللبيب : ١٨٥/١.

(2) مغني اللبيب : ١٨٥/١ .

(3) الجنى الداني : ٦٦ .

(4) سر صناعة الاعراب : ٢٥٢/١ .

(5) حاشية العطار : ٤٤٧/١ .

الثاني : ما يتضمن معنى الشرط ، وهذا يكون في :

١- أمَّا[١] : وتكون الفاء بين جزئي جملة واحدة ، ولا نلحظ في ربطها للجواب هنا معنى السببية ، فقولك : (أمَّا زيد فقائم) لا يدل على أن قيام زيد مسبَّب من شيء أو هو سبب لشيء . وهذا لا يُفهَم أيضًا من تقدير الجملة بـ(مهما يكن من شيء فزيد قائم) .

فإن قيل : قد تفيد هذه الفاء معنى السببية في مثل قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى : ٩) إذ إن كون المرء يتيمًا يتسبب في النهي عن قهره ، و السبب هنا سابق للفاء كما أن المسبَّب لاحق لها . قلنا : إن معنى السببية في هذه الآية ومثيلاتها لم تفده الفاء ، وإنما هو مفهوم من السياق ، ألا يُرَى أن لو قيل (لا تقهر اليتيم) من دون الفاء كان معنى السببية هو هو ؟

٢- المبتدأ إذا كان معرفة موصولة أو نكرة موصوفة : إذ يكون هذا المبتدأ شبيهًا بالشرط كما أن خبره شبيه بجوابه[٢] ، لذا تدخل الفاء في خبره ، ودخولها هنا أيضًا بين جزئي جملة واحدة ، مثال ذلك قولك : (الذي يأتيني فله درهم)[٣] .

وتفيد الفاء هنا أن ما بعدها (الخبر) مُستحَق بما قبلها (صلة المبتدأ أو صفته) ، أو ترتب لزوم اللاحق لها على السابق ، فلزوم الدرهم – في المثال – مترتب على الإتيان ، معنى ذلك أن ما قبل الفاء سبب لما بعدها ، أي إن الإتيان سبب لوجوب الدرهم ، ودخول الفاء هنا لبيانه إذ لو قلت : (الذي يأتيني له درهم) لم يُفهَم منه أن الدرهم مستحق للإتيان بل هو حاصل على كل حال [٤] . ويصدق ذلك على قولك: (كل رجل يأتيني فله درهم) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة : ٢٧٤) إذ إن إنفاقهم للأموال سبب لاستحقاقهم الأجر .

---

(١) الجنى الداني : ٦٦ .

(٢) مغني اللبيب : ١ / ١٨٧ .

(٣) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٤) سر صناعة الإعراب : ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

فالفاء في هذا القسم إذًا تفيد معنى السببية غالبًا وليس دائمًا ؛ ففي قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (الجمعة : ٨) ليس الفرار سببًا للملاقاة وإنما الملاقاة لازمة للفرار ، وكذا قوله : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (النحل : ٥٣) .

الوجه الثالث - الفاء للربط والسببية : وهذا يكون عندما تُسبَق الفاء بما هو سبب لما بعدها ولا يصح عطف ما بعدها عليه ، وكلاهما جملة يصلح تقدير إذا الشرطية قبل الفاء وجعل مضمون الكلام السابق لها شرطًا نحو قولك : (زيد فاضل فأكرمه) والمعنى : إذا كان كذا فأكرمه[١] ، والإكرام أو الأمر به سببه كون زيد فاضلًا . وكذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ١ - ٢] وهنا لا يصح عطف جملة (صلِّ لربك) على جملة (إنا أعطيناك) ؛ إذ لا يصح عطف الخبر على الإنشاء ولا الإنشاء على الخبر[٢] . فلم تفد العطف وأفادت السببية إذ إن إعطاء الله تعالى الكوثر للرسول الكريم (ﷺ) سببًا للصلاة والنحر أو للأمر بهما ، وهو متقدِّم على المسبَّب في الذهن والخارج ، ويصلح في الآية الكريمة تقدير (إذا) فيكون المعنى : إذا أعطيناك فصلِّ... ، ومثله قوله عزَّ وجلَّ : ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[٣] (ص : ١٠) وتفيد الفاء هنا أن ادِّعاءهم بملك السماوات والأرض وما بينهما سبب لأمرهم بالارتقاء في الأسباب تحديًا لهم .

الوجه الرابع – الفاء الزائدة : للفاء الزائدة أقسام عديدة[٤] ليس هذا موضعها ؛ إذ ليس من بينها ما يفيد السببية أو التعليل . وتجدر الإشارة هنا إلى أن المرادي جعل من هذا القسم الفاء الداخلة على خبر المبتدإ إذا تضمن معنى الشرط[٥] .

---

(١) شرح الرضي على الكافية : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٨هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قان يونس ، بني غازي – ليبيا ، ط٢ (١٩٩٦م) : ٤ / ٣٨٧ .

(٢) مغني اللبيب : ١ / ١٨٩ – ١٩٠ ، البرهان : ٤ / ٢٩٨ .

(٣) شرح الرضي : ٤ / ٣٨٧ .

(٤) الجنى الداني : ٧٠ .

(٥) الجنى الداني : ٧٠ .

الفاء الداخلة على المضارع المنصوب (المسماة اصطلاحًا : فاء السببية) :

تدخل الفاء على الفعل المضارع المنصوب مسبوقة بنفي أو طلب[1] كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض والتحضيض وقد يُضاف إليها الترجي (وهي تسمى بالأجوبة الثمانية) . ويُؤتَى بالنصب هنا للتنصيص على السببية ؛ أي لإفادة أن ما قبل الفاء علة وسبب لما بعدها ، لذا قيل: إن "الفعل المضارع ينتصب بعد الفاء بشرطين ، أحدهما : السببية ، أي أن يكون الأول سببًا للثاني ، وثانيهما : أن يكون قبلها أحد الأشياء السبعة"[2] . وتدل أيضًا على الجوابية ، أي إن ما بعدها يترتب على ما قبلها ترتب الجواب على السؤال[3] . والجواب بها شبيه بجواب الجزاء[4] قال تعالى : ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ (طه : ٦١) فالفعل (يسحت) جاء منصوبًا بعد الفاء المسبوقة بالنهي ، فكان مسبَّبًا عما قبلها وهو افتراء الكذب على الله ، ومثله قول الشاعر :

يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقًا فَسِيحَا إِلَى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا[5]

فالفاء مسبوقة بالسبب (وهو السير إلى سليمان) سابقة للمسبَّب (وهو الاستراحة) .

ودلالة الفاء هنا على السببية والجوابية يؤيدها تضمين سببها ومُسبَّبها في شرط وجزاء ، فمعنى الآية الكريمة : إن افتريتم أسحتكم ، ومعنى قول الشاعر : إن تسيري نسترح ، على أن الفاء عندما تكون جوابًا للنفي يكون في الجملة معنيان فيهما معنى السببية ولا يُقَدَّر الشرط في أحدهما، مثال ذلك قولهم : (ما تأتينا فتحدثنا) ، فالمعنى الأول : إنك لم تأتِنا فكيف تحدثنا ؟ أي : ما تأتينا لذلك لم تحدثنا ، فالمتكلم قد نفى الإتيان و لأجله انتفى التحديث لأنه لا يكون إلا معه ، وفي ذلك إشارة إلى أن الإتيان لو كان لكان التحديث ، إذ التقدير : (لو أتيتنا

---

(1) النحو الوافي : ٤ / ٣٥٥ .

(2) جواهر الأدب : 24 .

(3) النحو الوافي : ٤ / ٣٥٣ .

(4) الأصول في النحو : ٢ / ١٨٣ .

(5) الأصول في النحو : ٢ / ١٨٣ ، همع الهوامع : ٢ / ٣٠٥ .

لحدثتنا)[1] . ومن ثَمَّ فإن ما قبل الفاء (وهو انتفاء الإتيان) سبب لما بعدها (وهو انتفاء التحديث) .

والمعنى الثاني : لم يكن منك إتيان فتحديث لنا ، أي : ما تأتينا إلا لم تحدثنا ، فأنت تأتينا ولكن لا تحدثنا ، وفي ذلك إشارة إلى أن الإتيان يقع بغير تحديث ، إذ التقدير : ما تأتينا مُحدِّثًا بل غير مُحدِّث ، كأنك تقول : تأتينا فما تحدثنا[2] . ومن ثَمَّ فإن النفي هنا نفي حصول المُسبَّب عن السبب إذا حصل ، فما بعد الفاء (التحديث) لم يتسبب عما قبلها (الإتيان) ، ونفي حصول المُسبَّب هو ما قد دعا بعض النحاة ليقول : إن الفاء لا تفيد التسبب ونصب الفعل بها تشبيهًا لها بفاء السببية[3] . فقُدِّر الشرط في المعنى الأول وقُدِّر الحال في المعنى الثاني.

وقوله تعالى : ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ (فاطر : ٣٦) جاء على المعنى الأول إذ إن المُسبَّب (الموت) منتفٍ لانتفاء السبب (القضاء عليهم) ، جاء في البحر المحيط : "وهو على أحد معنيي النصب ، فالمعنى انتفى القضاء عليهم فانتفى مُسبَّبه ، أي لا يُقضَى عليهم ولا يموتون ... ولا يصح أن يكون على المعنى الثاني من معنى النصب ... ليس المعنى هنا لا يُقضَى عليهم ميتين"[4] .

ومثل ذلك أيضًا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ (الأنعام : ٥٢) ، فالمُسبَّب (الطرد) ينتفي لانتفاء السبب (الحساب) .

ووردت هذه الفاء غير مسبوقة بنفي أو طلب مفيدة السببية وذلك في ضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا[5]

---

(١) شرح جمل الزجاجي : أبو الحسن عليّ بن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ) ، قدَّم له ووضع هوامشه : فواز الشعَّار ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) : ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) شرح جمل الزجاجي : ٢/ ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٣) النحو الوافي : ٤ / ٢٦٣ .

(٤) البحر المحيط : ٧/ ٣٠١ .

(٥) الأصول في النحو : ٢ / ١٨٢ .

فالفاء سُبِقت بكلام موجب لا طلب فيه ، وعلى الرغم منه نُصِبَ الفعل (أستريح) ، وجعل الشاعر لحاقه بالمجاز سببًا لاستراحته وتقدير الشرط هنا أن يُقَال : وألحق بالمجاز فإذا لحقت استرحت ، وإن ألحق أسترحْ [1] ، ومثل ذلك قول الشاعر :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا[2]

فعصمة المستجير تتسبب عن إيوائه إلى الهضبة ، وفي البيت أيضًا معنى الشرط إذ يُقَدَّر بـ : إنْ يَأْوِ إليها المستجير يُعصَمْ[3] .

وقد نصَّ المالقي على دلالة الفاء على السببية حين يتقدر معها معنى الشرط والجزاء في قوله : "إن النصب على الجواب بالفاء إنما هو بعد الشرط والجزاء أصلًا ، ولكن العرب نصبت بها في أجوبة غيرهما لمناسبة لهما في عدم الوقوع مع أن الشرط والجزاء يتقدران في غير الشرط والجزاء من جميع ما ذكرنا"[4] .

وَضُحَ لدينا في كل ما سبق أن الفاء تفيد السببية في أغلب مواضعها بربطها المُسبَّب (التالي لها) بالسبب (السابق لها) لدلالتها على الترتيب .

وذكر السبب والمُسبَّب مع الفاء يتضمن تعليلًا ؛ إذ إننا نجد فيه تبيينًا لعلة حصول الفعل (المُسبَّب) ، وهو تعليل بالسبب .

ومثلما دخلت الفاء- في ما تقدم- على المُسبَّب وسبقها السبب ، تدخل أيضًا على السبب ويسبقها المُسبَّب ، نحو قوله تعالى : ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (الحجر : ٣٤) ، (ص : ٧٧) "فالفاء دالة على سبب إخراجه من السماوات"[5] فكونه رجيمًا سبب خروجه أو الأمر

---

(١) الأصول في النحو : ١٨٢/٢ .

(٢) رصف المباني : ٣٧٩ .

(٣) رصف المباني : ٣٧٩ .

(٤) رصف المباني : ٣٨٥-٣٨٦ ، ويعني بجميع ما ذكره : (الأمر والنهي والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والدعاء والنفي) .

(٥) تفسير التحرير والتنوير : الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م : ١٤ / ٤٧ .

بخروجه . وكذا قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (النمل :٨١) فكونهم مسلمين تسبب في هدايتهم ، وقوله تعالى : ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر : ٣٧) فكونهم ظالمين سبب في ذوقهم العذاب .

٣- الكاف :

الكاف حرف جر له معانٍ أشهرها التشبيه[١] ، وتدخل فيه على المشبَّه به كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾(الرحمن : ٢٤) ، وهو أصل معانيها وأكثرها استعمالًا ، حتى أنَّ بعض النحاة رأى أنها لا تكون أبدًا إلَّا له[٢] .

وقد تخرج الكاف إلى معنى التعليل - أي تكون بمعنى لام التعليل – ذهب إلى ذلك الأخفش فقال في قوله تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ (البقرة : ١٥١) : أي لأجل إرسالي فيكم رسولًا منكم فاذكروني ، أو لمَّا أرسلنا فيكم رسولًا فاذكروني[٣] . وأخذ به طائفة من النحاة - ومنهم عباس حسن - ومثلوا لها بقوله تعالى :"﴿اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة : ١٩٨) أي : اذكروه بسبب هدايته لكم ، وقوله تعالى في الوالدين : ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء : ٢٤) أي : ارحمهما بسبب تربيتهما إيَّاي صغيرًا"[٤] .

والذي يُلاحَظ في أغلب ما مثَّل به النحاة لكاف التعليل أنها مقترنة بـ(ما) ، و لهذا رأى الخليل وسيبويه أنَّ دخول (ما) على الكاف يحدث معنى التعليل[٥] واختاره ابن مالك[٦] . وقد تفيده – عندهم – مجرَّدة منها كقوله تعالى : ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص:٨٢)

---

(١) الجنى الداني : ٧٨ .

(٢) رصف المباني : ١٩٥.

(٣) مغني اللبيب : ١ / ١٩٩ ، ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : رجب عثمان ورمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ (بدون تاريخ) : ٢/ ١٧١٥ .

(٤) النحو الوافي : ٢/ ٥١٦ .

(٥) ارتشاف الضرب : ٢/ ١٧١٥ .

(٦) همع الهوامع : ٢ / ٣٦٢ .

أي : أعجب لعدم فلاحهم ، أو أعجب لأنه لا يفلح الكافرون [١]، وجعلوا منه أيضًا قوله الشاعر :

"وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

أي لأنَّ الأرض ؛ إذ لا يكون تشبيهًا ، لأنه ليس في الأرض حقيقةً" [٢] .

وأنكر أكثر النحويين معنى التعليل في الكاف ، فقالوا – تعليقًا على آية (البقرة:١٩٨) المتقدمة– أن الذكر والهداية يشتركان في أمر واحد هو الإحسان ، فوضع الخاص (الذكر) موضع العام (الهداية) ، والكلام بمنزلة : أحسن كما أحسن الله إليك ، إذ الأصل اهتدوا كما هداكم ، لكن عدل عن العام (اهتدوا) للإعلام بخصوصية المطلوب (الذكر) [٣]. ورجَّح هذا أيضًا الدكتور فاضل السامرائي ، قال : "وهي – يعني الكاف في كما هداكم – للتشبيه فيما أرى، ونحن نستعمل مثل هذا التعبير في كلامنا الدارج فنقول : (أحسن إلى فلان مثلما أحسن إليك) و (اصنع له خيرًا مثل ما صنع إليك) و (واذكره مثلما ذكرك) أي : اصنع مثل فعله وقابله بمثل ما فعل واعمل مشابهًا لعمله ، ونحو ذلك"[٤].

ولكن مع ذكر ما تقدَّم من شواهد لا نستطيع - أيضًا - أن نجزم بإفادة الكاف للتعليل؛ فالسببية التي تُفهَم من قول القائل :(أكرم زيدًا كما أكرمك) لا تُفهَم في مثله ؛ كأن يُقال : (أكرم زيدًا كما أكرم عمرو خالدًا) مع أن ما قبل الكاف في الجملتين متماثل ، وكذلك ما بعدها ، وهذا يدل على أن العلاقة بين مضموني الجملتين هو الذي يشعر بذلك المعنى . فما قد يُفهَم من تسبب ما قبلها عما بعدها إنما يوحي به السياق ، كما أن ذكر طرفي التشبيه هنا يغنينا عن السؤال عن معرفة العلة وهو ما يوهم بإفادة الكاف للتعليل .

---

(١) مغني اللبيب : ١/ ١٩٩ ، همع الهوامع : ٢ / ٣٦٢ .

(٢) مغني اللبيب : ١/ ٢١٦ .

(٣)مغني اللبيب : ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٤) معاني النحو : الدكتور فاضل السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) : ٣ / ٦٠ .

٤- لام التعليل :

اللام ثلاثة أقسام : عاملة للجر ، وعاملة للجزم ، ومهملة غير عاملة[١] . خلافًا للكوفيين فعندهم تعمل النصب في الأفعال[٢]. أما العاملة للجزم فهي للطلب (أمرًا أو التماسًا أو دعاءً) وليس فيها معنى التعليل ، وأما غير العاملة فلم يُذكَر أنها أفادت التعليل[٣] .

وأمَّا اللام العاملة للجر فلها معانٍ كثيرة قد تصل عند بعض النحاة إلى ثلاثين معنى[٤] من بينها التعليل ، واللام التي تفيده "هي التي يصلح في موضعها (من أجل)"[٥] .

ولعلَّ معناها في الأصل هو الاختصاص وهو معنى لا يفارقها ، ولهذا لم يذكر الزمخشري في مُفَصِّله معنى لِلَّام سواه[٦]. وقال بعض النحويين : "وهو راجع إلى معنى الاختصاص ، لأنك إذا قلت : (جئتك للإكرام) دلَّت اللام على أن المجيء مختص بالإكرام ؛ إذ الإكرام سببه دون غيره"[٧] . على أن أصل معانيها عند طائفة من النحويين الاستحقاق[٨].

واللام الجارة مكسورة مع الظاهر على الأشهر إلا المستغاث ، وتكون مفتوحة مع المُضمَر (إلا الياء) ، وقد يفتحها بعض العرب مطلقًا وكسرها مع المُضمَر لغة خزاعية [٩] .

---

(١) مغني اللبيب : ١ / ٢٣٢ .

(٢) الجنى الداني : ٩٥ ، مغنى اللبيب : ١ / ٢٣٢ .

(٣) الجنى الداني : ٩٥ ، ١١٠ - ١١١، مغنى اللبيب : ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٤ .

(٤) الجنى الداني : ٩٦ .

(٥) البرهان : ٤ /٣٤٠ ، رصف المباني : ٢٢٣ .

(٦) شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت : ٦٤٣ هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، (بدون تاريخ) : ٨ / ٢٥ ، الجنى الداني : ٩٦ .

(٧) شرح المفصل : ٨ / ٢٦ ، شرح الرضي : ٢ / ٣٨٩ .

(٨) الجنى الداني : ٩٦ .

(٩) همع الهوامع : ٢ / ٣٧٢ .

obeikandl.com

اللام بين الغرض والسبب :

وتختص اللام من بين الحروف المفيدة للتعليل بأنها تُستعمَل فيه بكلا قسميه (التعليل بالغرض والتعليل بالسبب) ؛ إذ إنَّها تدخل على غرض الفاعل في فعله ، فتفيد أنَّ ما بعدها غرض وعلة غائية لإحداث ما قبلها ، قال ابن يعيش : "اللام قد تدخل على المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم...فكأنها دخلت...لإفادة أن ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم"[١] وقد يُفهَم من الجزء الأخير من قوله أيضًا أن ما قبل اللام سبب لوجود ما بعدها ولذا قال في موضع آخر : "وأمَّا (اللام) فهي من حروف الجر ومعناها الغرض وأن ما قبلها من الفعل علة لوجود الفعل بعدها"[٢]، ولعل هذا ما يقصده بعضهم من أن الغرض بعد لام التعليل ترتب على الفعل[٣] .

ومثال ذلك قوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ) (النساء : ١٠٥) فالحكم بين الناس هو الغرض والعلة الغائية إنزال الكتاب إلى الرسول ﷺ والإنزال سبب للحكم بينهم .

ومثله قوله ﷻ : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ...) (المدثر : ٣١) فاللام في "ليستيقن" أفادت التعليل وقد دخلت على الاستيقان الذي هو غرض جعل عدة الملائكة - أصحاب النار- فتنة وهو العلة الغائية الحاملة على إيقاع ذلك الفعل ، وجعل عدتهم فتنة سبب للاستيقان . قال الزمخشري : " ما جعل افتتانهم بالعدة سببًا لذلك - يعني للاستيقان - وإنما العدة نفسها هي التي جُعلت سببًا ... كأنه قيل : ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يُفتتَن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب"[٤] .

---

(١) شرح المفصل : ٧ / ٢٠ .

(٢) شرح المفصل : ٧ / ٢١ .

(٣) البرهان : ٤ / ٣٤٦ .

(٤) الكشاف : ٦ / ٢٥٩ .

وكذا قول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي [1]

"(ليبتلي) أي : لينظر ما عندي من الصبر والجزع"[2] ، فالابتلاء هو غرض الليل من إرخائه لسدوله بالهموم ، والعلة الغائية له .

أما دخول اللام على السبب فبه يكون ما بعدها سببًا لوجود ما قبلها ؛ كقولنا : "ضربت زيدًا لإساءته" فالإساءة سببت الضرب ، وهو سابق إياه في الزمان والوجود . وكقوله ﷻ (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) (العاديات : ٨) ف "اللام في (لِحُبِّ) لام العلة أي : وإنه لأجل حب المال لبخيل أو إنه لحب المال وإيثاره قوي مطيق "[3] ، وقد فسر المراغي الآية ذاكرًا لفظ السبب ، قال : "وإن الإنسان بسبب محبته للمال وشغفه به وتعلقه بجمعه وادخاره بخيل شديد في بخله"[4] . فحب الخير -المال- إذًا سبب للبخل ، واللام دخلت هنا عليه ، فكان ما بعدها سببًا لوجود ما قبلها . ومثالها من كلام العرب قول أبي صخر الهذلي :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ نُفْضَةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ [5]

فدخلت اللام على ما كان سببًا لعرو الهزة ، وهو سابق عليه ، فأفادت اللام التعليل بذكر السبب ، ومثله قول العجاج :

"تَسْمَعُ لِلْجَرْعِ إِذَا اسْتُحِيرَا لِلمَاءِ فِي أَجْوَافِهَا خَرِيرَا

أي : من أجل الجرع"[6] ، وجعل ابن هشام منه قول حاتم الطائي :

إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلًا ، فَإِنِّي لَسْتُ آكَلَهُ وَحْدِي[7]

---

(١) شرح القصائد التسع المشهورات : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : أحمد خطاب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) : ١/ ١٥٩.

(٢) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٣) البحر المحيط : ٨ / ٥٠٢ ، مغني اللبيب : ١ / ٢٣٤.

(٤) تفسير المراغي : الأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١ (١٣٦٥هـ-١٩٤٦م) : ٣٠ / ٢٢٤ .

(٥) شرح المفصل : ٦٧/٢ .

(٦) رصف المباني : ٢٢٣ .

(٧) مغني اللبيب : ٢٣٩/١.

قال : "وإنما اللام في البيت للتعليل وهي متعلقة بالتمسي"[1] .

والذي يظهر جليًّا أن التعليل باللام عند دخولها على الفعل المضارع يكون تعليلًا بالغرض دون السبب ولهذا سمَّاها بعض العلماء : (لام كي)[2] لأن(كي) لا تفيد إلا التعليل بالغرض على ما سيأتي ، ولا يكون التعليل بها بالسبب؛ إذ إن السبب يكون مُتقدِّمًا على المسبَّب ، والفعل المضارع بعد لام التعليل ليس كذلك لأنه مستقبل ومتأخر عمَّا قبل اللام ونتيجة متوقعة له .

ومن ثَمَّ فإن اللام تستعمل في قسمي التعليل ، خلافًا لـ(كي) وخلافًا للحروف المعلِّلة الأخرى ؛ إذ لا يُستفهم بها عن الغرض ولا يُستفهم بأكثرها عن السبب ، فيُسأل مثلًا : لم ضربت ابنك ؟ فيُجاب : للتأديب ، وهذا هو الغرض من الضرب ، أو يُجاب : لإساءته ، فيُذكَر سبب الضرب .

أقسام لام التعليل :

تُصَنَّف لام التعليل على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يدخل على الاسم الصريح . كقوله تعالى : (... وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ...) (الطلاق : ٢) أي : "لوجهه خالصًا لا للمشهود له ولا المشهود عليه ، ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة العدل ودفع الظلم"[3] ، وقوله تعالى : (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ...) (الجن : ٩) فاللام للتعليل ، وهي متعلقة بـ(نقعد) أي : نقعد لأجل السمع[4] ، وقوله تعالى : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ...) (الإنسان : ٩) أي : من أجل وجه الله [5] .

---

(1) مغني اللبيب : ٢٣٩/١.

(2) الجنى الداني : ١٠٥ .

(3) الكشاف : ٦ / ١٤٣ .

(4) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٢٢٨ .

(5) الأمالي الشجرية : هبة الله بن عليين محمد بن حمزة الحسن العلوي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق : محمود بن محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) : ٢ / ٦١٧ .

وثانيها : اللام الداخلة على مصدر مؤوَّل . وهذه اللام يليها فعل مضارع منصوب مختلف في عامل النصب فيه على أوجه . ومن الجائز عند النحاة حذف اللام إذا تلاها (أَنْ) و (أَنَّ) ؛ فتقول : "غضب أخوك أنْ ضربته ، أو لأنْ ضربته"[١] ، وكقوله عزَّ وجلَّ : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ) (المائدة :٢) معناه : "لِأَنْ صَدُّوكم"[٢] . ومثال الحذف قبل "أَنَّ" : "جئتك أنَّك تريد المعروف أي لأنَّك تريد المعروف ، ولكنها حُذِفت ههنا"[٣] . ومنه قوله تعالى : (وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (الأنبياء : ٩٢) ، "المعنى على حذف اللام على رأي الخليل كأنه قال : ولأنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"[٤].

وثالثها : ما يدخل على الفعل المضارع :

كقوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (مريم : ١٩) "اللام في (لِأَهَبَ) لام العِلَّة ، والضمير للمتكلم والمراد به المَلَكُ ، وأسنده لنفسه ؛ لأنه سببٌ فيه"[٥]. وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) (فصلت : ٢٩) "لام (لِيَكُونَا) للتعليل ، وتتعلق بـ(نجعل) . والتعليل هنا توطئة لاستجابة الله تعالى لهم ؛ لأنه أشد غضبًا على الفريقين المضلين منهم"[٦].

وليس من بين الحروف المعلِّلة ما يفيد التعليل مع الأسماء الصريحة والأفعال معًا غير اللام .

---

(١) الأُزهيَّة في علم الحروف : علي بن محمد النحوي الهروي (ت ٤١٥هـ) ، تحقيق : عبد المعين الملّوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) : ٧١ .

(٢) الأزهية : ٧٢ .

(٣) المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠ – ٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف ، القاهرة ، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) : ٢ / ٣٤٧ .

(٤) الكتاب : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣ ، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، ٢/ ٣٨٨ : ٣ / ١٢٧.

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، (ت : ٧٥٦هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم بدمشق (١٤٠٦هـ) : ٧ / ٥٧٨ ، والتحرير : ١٦ / ٨١ .

(٦) التحرير : ٢٤ / ٢٨١ .

لام المستغاث له أو من أجله :

إن لام المستغاث له تفيد التعليل ، ولهذا ذكرها بعض النحاة [١] ضمن فروع اللام الجارَّة التي تفيده ؛ إذ إن "الاستغاثة دعاء المستغيثِ المستغاثَ"[٢] . "وهذه اللام هي في الحقيقة لام التعليل"[٣] وطالبها لابد له من سبب يدفعه إليه ويحمله عليه ، والسبب هو ما يقع بعد لام المستغاث له ، مثل قولنا : (يا لَزيدٍ لِعمرٍو) ؛ (زيد) مستغاث ، و(عمرو) مستغاث من أجله ، واللام الداخلة على (عمرو) تفيد التعليل ؛ فالتقدير : أدعوك لعمرٍو وأستغيثك لأجله ، وهذه اللام متعلقة بمحذوف ؛ هو فعل من جملة مستقلة ؛ أي : أدعوك لعمرٍو ، أو اسم يكون حالًا من المنادى ؛ أي : مدعوًّا لعمرٍو[٤] . قال سيبويه : "فاللام المفتوحة -يعني لام المستغاث به- أضافت النداء إلى المنادَى المخاطَب ، واللام المكسورة - يعني لام المستغاث له - أضافت المدعوَّ إلى ما بعده لأنه سبب المدعوِّ ، وذلك أن المدعوَّ إنما دُعِيَ من أجل ما بعده لأنه مدعوٌّ له"[٥] . فالشاعر في قوله :

يَا لَقَوْمِي لِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ[٦]

يستغيث بقومه ، وسبب استغاثته هو فرقة الأحباب . وكقول الآخر :

يَا لَقَوْمِي وَيَا لَأَمْثَالِ قَوْمِي ... لِأُنَاسٍ عُتُوُّهُمْ فِي ازْدِيَادِ[٧]

فاللام في (لِأُنَاسٍ) هي لام المستغاث لأجله ، والأناس بصفتهم المذكورة (عُتُوُّهُمْ فِي ازْدِيَادِ) هم سبب استغاثة الشاعر بقومه وبأمثالهم . ومثله أيضًا قول قيس بن ذريح :

تَكَنَّفَنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي ... فَيَا لَلنَّاسِ لِلْوَاشِي الْمُطَاعِ [٨]

إذ استغاث الشاعر بالناس بسبب الواشي المطاع .

---

(١) مغني اللبيب : ١ / ٢٤٤ .

(٢) همع الهوامع : ٢ / ٥٣ .

(٣) الجنى الداني : ١٠٤ .

(٤)المغني : ٢٤٥ ، الجنى الداني : ١٠٤ .

(٥) الكتاب : ٢ / ٢١٩ .

(٦) المصدر والصفحة أنفسهما ، همع الهوامع : ٢ / ٥٤ .

(٧) شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري : الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، (ت٩٠٥هـ) ، المطبعة الأزهرية المصرية ط٢ ، (١٣٢٥هـ) : ٢ / 243 .

(٨) الكتاب : ١ / ٢١٦ ، شرح المفصل : ١ / ١٣١ .

obeikandl.com

التعليل المجازي باللام (لام العاقبة) :

"ذكر الكوفيون والأخفش وبعض من المتأخرين منهم ابن مالك(ت٦٧٢هـ) لام العاقبة (لام الصيرورة أو لام المآل) وهذه اللام عند أكثر البصريين صنف من أصناف (لام كي) ، وهي عند الكوفيين ناصبة بنفسها"[١] .

ومثال دخولها على الفعل قوله تعالى : (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) (القصص: ٨) "إنهم لم يكن داعيهم إلى التقاطه أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا ولكنهم التقطوه رأفةً به وحبًّا له لِمَا أُلقي في نفوسهم من شفقة عليه ولكن كانت عاقبة التقاطهم إيَّاه أن كان لهم عدوًّا في الله"[٢] .

ويصدق ذلك على قول الشاعر - وهو من لام العاقبة الداخلة على الاسم - :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ [٣]

"فإن الموت ليس عِلَّة المولود ، ولا الخراب عِلَّة البناء ، ولكن صار عاقبتهما ومآلهما إلى ذلك "[٤] . ومثله قول الشاعر :

فَلِلْمَوْتُ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرَابِ الدُّورِ تُبْنَى الْمَسَاكِنُ[٥]

فالوالدات لا تطعم أبناءها من أجل الموت ، ولا تُبنى المساكن من أجل خراب الدور، ولكن صار عاقبتهما ومآلهما إلى ذلك .

وكذلك قوله :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُمْ فَلِلْمَوتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَة[٦]

---

(١) الجنى الداني : ١٢١ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٧٦ .

(٣) شرح التصريح : ١ / ٦٤٥ ، همع الهوامع : ٢ / ٣٦٨ ، الجنى الداني : ٩٨ .

(٤) شرح التصريح : ١ / ٦٤٥ .

(٥) مغني اللبيب : ١ / ٢٣٩ .

(٦) المصدر والصفحة أنفسهما .

فالموت ليس علةً للولادة ، ولكنه عاقبتها ومآلها .

أمَّا البصريون ومن تابعهم فقد أنكروا لام العاقبة[١] ، وهي عند أكثرهم (لام كي)[٢] ، والتعليل فيها مجازي لا حقيقي[٣]؛ أي أن ما بعد اللام علة لما قبلها إلا إنها علة غير حقيقية (مجازية) . ففي آية القصص(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) (القصص : ٨) العداوة والحزن (علة مجازية) هما نتيجة للالتقاط . وربما هذا ما قد دعا الزمخشري ليقول : "اللام في (ليكون) هي لام كي التي معناها التعليل ؛ كقولك : (جئتك لتكرمني) سواء بسواء، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة ؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوًا وحزنًا ، ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله ، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء ، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك : ضربته ليتأدب ، وتحريره: إن هذه اللام حكمها حكم الأسد ، حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد"[٤] .

كما قال أبو حيان في تفسيره : "واللام في ليكون للتعليل المجازي... ويُعبَّر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة"[٥] .

نخلص مما سبق إلى أن لام التعليل قد تفيد تعليلًا مجازيًّا ، وعندئذ تسمى لام العاقبة ؛ إذ يليها غرض غير حقيقي ويسبقها ما يفضي إليه .

اللام بعد القول :

قد تأتي اللام بعد لفظ (القول) أو ما في معناه مفيدة التعليل كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) (الأحقاف : ١١) إذ اختلف العلماء

---

(١) مغني اللبيب : ١ / ٢٤٠ .

(٢) الجنى الداني : ١٢١ .

(٣) الكشاف : ٤ / ٤٨٤ ، البحر المحيط : ٧ / ١٠١ .

(٤) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٥) البحر المحيط : ٧ / ١٠١ .

في هذه اللام هنا ، فهي عند ابن الحاجب بمعنى (عن) ، وقيل هي للتبليغ والتفت عن الخطاب إلى الغيبة[١] .

ومن هذه اللام أيضًا قول الله تعالى : (قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا) (الأعراف : ٣٨) قال أبو حيان في تفسيره أن اللام هنا لام السبب أي : لأجل أولاهم ، ولا يجوز أن تكون هنا للتبليغ لأن خطابهم مع الله لا معهم[٢] .

ومنه أيضًا قوله : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل : ٤٠) إذ إن اللامين فيها للتبليغ عند أبي حيان ، وللتعليل عند الزجاج (ت٣١١هـ)[٣] ، وقال الزَّجاج : "هي لام السبب ، أي : لأجل إيجاد الشيء "[٤] .

تقدير وإضمار لام التعليل :

إنَّ لام التعليل قد تكون ظاهرة – كما مرَّ في الأمثلة السابقة – وقد تكون مُقدَّرة مضمرة ؛ إذ جعل قسم من النحاة المفعول لأجله منصوبًا بنزع الخافض أو على تقدير حرف جارٍّ له هو لام التعليل ، قال سيبويه : "وفعلت ذاك أجل كذا وكذا ، فهذا كله منتصب لأنه مفعول له ، كأنه قيل : لِمَ فعلت كذا وكذا ، فقال: لِكذا وكذا ، ولكنه لما طَرَح اللام عمل فيه ما قبله "[٥] .

من أجل ذلك نجد أن اللام دون غيرها من الحروف المعلِّلة تُقدَّر قبل المصادر المؤوَّلة من (أنَّ جملتها) أو (أنْ وفعلها) عند إفادتها التعليل ، فقدِّر اللام إذا أفاد المصدر المؤوَّل التعليل ، ومثال ذلك من آي الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾(القلم : ١٤)

---

(١) شرح الرضي : ٤ / ٢٨٥ ، مغني اللبيب : ١ / ٢٣٩ .
(٢) البحر المحيط : ٤ / ٢٩٨ .
(٣) البحر المحيط : ٥ / ٤٧٧ .
(٤) البحر المحيط : ٥ / ٤٧٧ .
(٥) الكتاب : ١ / ٣٦٩ .

قال القرطبي : "فمن قرأ بهمزة مطوَّلة أو بهمزتين محققتين[١] فهو استفهام والمراد التوبيخ ، ويحسن له أن يقف على(زنيم) ويبتدئ بـ(أَنْ كَانَ) على معنى : أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين تطيعه ... ومن قرأ (أَنْ كَانَ) بغير استفهام فهو مفعول من أجله والعامل فيه فعل مُضمَر ، والتقدير : يكفر لأن كان ذا مال وبنين"[٢] ، فقدَّر اللام على القراءات الثلاث . وقال حسن العطار : "جُعِل المقدَّر اللام دون باء السببية لأنها الأصل في التعليل"[٣] . ومثل ذلك قوله ﷻ : ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون : ٥٢) إذ رأى الخليل أن هناك لامًا محذوفة ، والتقدير : ولأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وشبهها بـ(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ) فإن حُذفت اللام من (أَنَّ) فهو نصب ، كما لو حُذفت اللام من (لِإِيلَافِ) كان نصبًا [٤] . كما قال في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن : ١٨) أنَّ "المعنى : (ولِأَنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا)"[٥] .

ومنه قول الشاعر :

أَتَغْضَبُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ ؟[٦]

"قال الخليل والمبرِّد : الصواب (أنْ أذنا) بفتح الهمزة من (أَنْ) ، أي لأن أذنا"[٧]

ولم يقتصر تقدير اللام عند النحاة على ذلك ، بل قدَّروها أيضًا قبل (كي) وصلتها ؛ كقوله تعالى : (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) (الحشر : ٧) قال العطار : "يحتمل أن تكون اللام مقدرة فتكون كي مصدرية "[٨].

---

(١) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو حيوة والمغيرة والأعرج بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام ، وقرأ المفضَّل وأبو بكر وحمزة بهمزتين محققتين : الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ (١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م) : ١٨/ ٢٣٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٢٣٦ .

(٣) حاشية العطار : ٢ / ٣٠٧ .

(٤) الكتاب : ٣ / ١٢٦ - ١٢٧ .

(٥) الكتاب : ٣ / ١٢٧ .

(٦) مغني اللبيب : ١/ ٣٣ .

(٧) مغني اللبيب : ١ / ٣٤ .

(٨) حاشية العطار : ٢ / ٣٠٦ .

نضيف إلى ذلك أن بعضًا من العلماء أضمر اللام في لفظة (وَيْكَأَنَّ) ؛ إذ إن ما بعد اللام المُقدَّرة علة للتعجب المفهوم من (وَيْ) ، ففي قوله تعالى : ﴿وَيْكَأَنَّ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص : ٨٢) قيل إن المعنى : " أَعجبُ لأنَّ الله"[١] .

إذًا قد تكون اللام المعلِّلة مُقدَّرة مُضمَرة عند إفادتها التعليل ، فضلًا عن كونها ظاهرة.

اللام هي أم باب التعليل والأصل فيه :

نجد في كل ما سبق أن لِلَّام المعلِّلة ميزات خاصة هيَّأت لها أن تكون هي أم باب التعليل والأصل فيه ، من ذلك :

١-أنها اختصت من بين الحروف المعلِّلة الأخرى بشيوع استعمالها في التعليل بكلا قسميه ؛ التعليل بالغرض والتعليل بالسبب .

٢- كونها تدخل على الاسم الصريح والفعل المضارع ، ومع الأول تفيد التعليل بالغرض وبالسبب ، ومع الثاني تفيد التعليل بالغرض .

٣- أنها تأتي ظاهرة مرة ، وقد تكون مُقَدَّرة مضمرة مرة أخرى .

٤- تُستعمل في التعليل الحقيقي والتعليل المجازي .

وإن اعتُرِض على كون اللام أم باب التعليل بأن (كي) هل الأصل فيه ؛ لأنها تدخل على الأسماء عندما تكون جارَّة ، وتدخل على الفعل المضارع ، ويُستفهَم بها عن العلة ، وسُمِّيَت بها اللام فقيل : (لام كي) ، فضلًا عن أنَّ (كي) موضوعة للتعليل وهو الأصل فيها[٢] ، فإنه مردود عليه بعدة أمور :

١- أنَّ دخول (كي) الجارَّة على الأسماء محدود إذا ما قيس باللام ؛ فهي "لا تجر اسمًا معربًا ولا اسمًا صريحًا"[٣] ؛ إذ إنها تجر (ما) الاستفهامية أو (ما وأن) المصدرتين مع صلتهما .

---

(١) الجنى الداني : ٣٥٣ .

(٢) شرح المفصل : ٩/ ١٤ .

(٣) النحو الوافي : ٢ / ٤٥٧ .

٢- الاستفهام بها فمع أنه ليس أكثر من استفهام عن علة -وما هو بتعليل- فإنه لا يُستفهَم بها عن السبب بل عن الغرض فحسب . وقد يعضدنا هنا قول سيبويه بأن "من قال كيمه فإنه يضمر (أنْ) بعدها"[١] ، و(أنْ) تدل على الاستقبال وما يقع في المستقبل هو الغرض لا السبب . وقد يؤيدنا أيضًا زعم الكوفيين بأن (مه) في (كيمه) "منصوبة على مذهب المصدر، كقول القائل : أقوم كي تقوم ، سمعه المخاطَب ولم يفهم تقوم ، فقال : كيمه ؟ يريد كي ماذا ؟ والتقدير : كي يفعل ماذا ؟ "[٢].

٣- لا يعني كون اللام قد يُطلَق عليها تسمية (لام كي) أن كي هي الأصل في إفادة التعليل وحُمِلت عليها اللام ؛ إذ إنَّ لِلَّام معاني عديدة ، وإطلاق هذه التسمية يحدد واحدًا من تلك المعاني وهو التعليل ؛ إذ إن (كي) موضوعة له[٣] ، وهذه التسمية – لام كي- تختصُّ بها هذه اللام المفيدة للتعليل الداخلة على فعل مضارع ناصبة له كما هو حال(كي) فتخرج بذلك من تلك التسمية اللام المعلِّلة الداخلة على الاسم .

٤- أن (كي) إن أفادت التعليل فسيكون تعليها بالغرض الحقيقي فحسب ، أما اللام فإن تعليلها عند دخولها على المضارع قد يكون بالغرض الحقيقي أو بالغرض المجازي [٤].

٥- أمَّا كونها – أعني (كي) – موضوعة للتعليل وهو الأصل فيها ، فإننا نجد أن معظم النحاة لا يرون فيها معنى التعليل إذا كانت ناصبة -كما مرَّ- ، وعلى كل حال فكونها موضوعة للتعليل لا يقوم وحده دليلًا على أنها هي الأصل فيه .

ونجد – فضلًا عما سبق – أن غير واحد من العلماء قد صرح أو أشار إلى أن اللام هي الأصل في التعليل ، قال حسن العطار في حديثه عن قوله تعالى : ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (القلم :١٤) : "جعل المقدَّر اللام دون باء السببية لأنها الأصل في التعليل"[٥] . وأشار ابن

---

(١) الكتاب : ٣ / ٦ .
(٢) الكتاب (الحاشية) : ٣ / ٦ .
(٣) شرح المفصل : ٩/ ١٤ .
(٤) الكشاف : ٤ / ٤٨٤ ، البحر المحيط : ٧ / ١٠١ .
(٥) حاشية العطار : ٢ / ٣٠٧ .

يعيش إلى مثله قال : "وباللام يخبر عن كل ذلك – يعني أغراض الفاعلين – وكي وحتى في معناها"[١] .

٥- الواو :

ذُكِرَ للواو أقسام عديدة ليست أقل من أحد عشر قسمًا ، من بينها الواو العاطفة ، وهي أصل أقسامها وأكثرها ؛ لكثرة مجالها فيه ، ومعناها مطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه أو سابقه أو لاحقه[٢] .

ولم تفد الواو معنى التعليل في جميع أقسامها ، ولم يذكر النحاة لها هذا المعنى إلا ما نُقِل عن الخارزنجي (ت٣٤٨هـ)[٣]، فعنده أن الواو تأتي بمعنى لام التعليل فتخرج عندئذ عن إفادة مطلق الجمع ، وحمل على هذا الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة في قوله تعالى : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ(٣٥)﴾ [الشورى] ، وقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران : ١٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿ ... يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام : ٢٧) أي : ليعلم الذين يجادلون ، وليعلم الصابرين ، ولنكون من المؤمنين . وعليه يكون التعليل بالواو تعليلًا بالغرض ، فما بعدها يُعَدُّ غرضًا (علة غائية) للفعل السابق لها .

ولم يؤيده ابن هشام قال : "والصواب أن الواو فيهن للمعية"[٤] ، ولم يرَ المفسرون كذلك ما رآه الخارزنجي في معنى الواو ، قال الزمخشري في تفسير الآية الأولى : "أما الجزم فعلى ظاهر العطف ، وأما الرفع فعلى الاستئناف ، وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره : لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ، ونحوه في العطف على المحذوف غير عزيز في القرآن

---

(١) شرح المفصل : ٧ / ٢٠ .
(٢) الجنى الداني : ١٥٨ ، مغني اللبيب : ٢ / ٤٠٨ .
(٣) مغني اللبيب : ١ / ٤١٣ .
(٤) مغني اللبيب : ١ / ٤١٤ .

منه قوله تعالى : ﴿ ... وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ... ﴾(مريم : ٢١) وقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ (الجاثية : ٢٢)"[١] .

أما الآية الثانية فعندهم فيها أنَّ (يعلم) منصوب بإضمار (أنْ) بعد واو المعية نحو : (لا تأكلْ السمك وتشربَ اللبن) على مذهب البصريين ، وبواو الصرف على مذهب الكوفيين[٢] أى : الصرف عن جهة الأول ؛ لأنها صرفت المضارع من الرفع الذى كان يستحقه ، إلى النصب[٣] .

أما الآية الثالثة فقيل فيها ما قيل في سابقتها ؛ إذ إن النصب يكون بإضمار (أنْ) بعد الواو ، قال أبو حيان : "وهذا النصب عند جمهور البصريين هو بإضمار(أنْ) بعد الواو فهو ينسبك من أنْ المضمرة والفعل بعدها مصدر مرفوع معطوف على مصدر متوهم مُقدَّر من الجملة السابقة ، والتقدير : يا ليتنا يكون لنا ردٌّ وانتفاء تكذيب وكون من المؤمنين – ثم قال – وإنما هي واو الجمع يُعطَف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها وهي واو العطف"[٤].

ومن ثَمَّ فإن مجيء الواو بمعنى لام التعليل غير ثابت عن النحاة وغير وارد عند المفسرين . وعلى الرغم من أن قول الخارزنجي بعيد عن التأويل والتقدير إلا أنه يخرج الواو عن أصل معناها . وبناء على ما تقدم لا نعتقد بإفادة الواو معنى التعليل .

ثانيًا : الحروف الثنائية :

١- التعليل بـ(إذ) :

تُعدُّ (إذ) ظرفًا للزمن الماضي في الأغلب ، وقد تكون للمستقبل بقرينة وتلزم (إذ) الإضافة إلى جملة اسمية أو فعلية [٥]، نحو قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي

---

(١) الكشاف : ٥ / ٤١٤ .

(٢) الكشاف : ١/ ٦٣٤ ، البحر المحيط : ٣/ ٧٢ .

(٣) الأزهية : ٢٣٣ ، وشرح المفصَّل : ٢٤/٧ ، وشرح الرضي : ٦٧/٤ .

(٤) البحر المحيط : ٤/ ١٠٥ .

(٥) النحو الوافي : ٢ / ٢٧٥ .

الْأَرْضِ تَخَافُونَ .... ﴾ (الأنفال : ٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

وقد تأتي(إذ) للتعليل فتكون حرفًا بمعنى لام العلة ، وقيل ظرف والتعليل مُستفاد من قوة الكلام[١] . نحو قوله تعالى : ﴿ .... فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنَ شَيءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ .... ﴾ (الأحقاف : ٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... ﴾ (الفتح : ١٨) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف : ٣٩) . فإن في قوله تعالى : (إذ كانوا يجحدون) ، (إذ يبايعونك) ، (إذ ظلمتم) تعليلًا لما قبلها ، ولا يختلف النحاة والمفسرون في أنَّ ما بعدها علة ولكنهم يختلفون في ظرفيتها . فينقسمون في ذلك إلى اتجاهين :

أ- أنها باقية على ظرفيتها : فيقول الزمخشري في تفسير الآية (الأحقاف : ٢٦) " (إذ كانوا يجحدون) جرى مجرى التعليل لاستواء مؤدَّى التعليل والظرف في قولك : (ضربته لإساءته)، (وضربته إذ أساء) ؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه ، إلا أنَّ (إذ) و(حيث) غلبتا دون سائر الظروف في ذلك"[٢] .

ويأتي في تفسير أبي حيان للآية نفسها توضيح لكلام الزمخشري حين يقول : "ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت : (أكرمت زيدًا لإحسانه إليَّ) أو (إذ أحسن إليَّ) استويا في الوقت وفُهِم من (إذ) ما فُهِم من لام التعليل ، وأنَّ إكرامك إياه في وقت إحسانه إليك إنما كان لوجود إحسانه لك فيه"[٣] .

وصرَّح الألوسي بظرفيتها مع إفادتها التعليل كنايةً أو مجازًا مستندًا إلى قول الزمخشري السابق[٤] . وكذا سار ابن عاشور في تفسير (إذ) على النهج نفسه ؛ بل جعل التعليل مما يُراد

---

(١) شرح الرضي : ٣ / ٢٠١ ، المغني : ٩٦ .
(٢) الكشاف : ٥ / ٥٠٨ .
(٣) البحر : ٨ / ٦٥.
(٤) روح المعاني : ٢٦ / ٢٨ .

من الظروف كثيرًا[١] . كما جعل "في تعليق هذا الظرف بفعل الرضى -في الآية (الفتح : ١٨)- مُسبَّب عن مفاد ذلك الظرف الخاص بما أُضيف هو إليه ..."[٢] .

ب- أنها خارجة عن الاسمية فهي حرف تعليل : وعليه وجه إعراب (إذ) في الآية (الزخرف : ٣٩) (إذ ظلمتم) عند كثير من المفسرين والنحاة أنها : حرف بمعنى لام العلة أي لأجل ظلمكم[٣] .

نخرج من ذلك كله إلى أن (إذ) ظرف وقع فيه الحدث العلة ؛ فقد تبيَّن دلالتها على التعليل مع بقائها على ظرفيتها .

٢- التعليل بـ(أَنْ) :

سيأتي الكلام عليه في مبحث المصدر المؤول بالفصل الثاني .

٣- التعليل بـ (أو) :

(أو) "حرف عطف ، ومذهب الجمهور أنها تشرك في الإعراب لا في المعنى لأنك إذا قلت (قام زيد أو عمرو) فالفعل واقع من أحدهما . وقال ابن مالك أنها تشرك في الإعراب والمعنى ... لأن كلاهما مشكوك في قيامه"[٤] وقد ذكر له النحاة معاني كثيرة ، جاء في الألفية:

خَيِّرْ ، أَبِحْ ، قَسِّمْ بِأَوْ وَأَبْهِمِ وَاشْكُكْ ، وَإِضْرَابٌ بِهَا أَيْضًا نُمِي[٥]

و (أو) التي ينتصب المضارع بعدها (عندما لا يكون معطوفًا على ما قبلها ولا مشاركًا له في المعنى) قد تأتي بمعنى (كي) فتفيد التعليل ؛ ذكر ذلك ابن هشام وأبو حيان والمالقي[٦] . وهي عندئذ تفيد التعليل بالغرض ؛ إذ إن ما بعدها يكون غرضًا لما قبلها ، كقولهم : (لأطيعنَّ

---

(١) التحرير : ٢٣ / ٢٥٤.

(٢) التحرير : ٢٦ / ١٧٣.

(٣) الدر المصون : ٩ / ٥٩٢ ، المغني : ٩٦ .

(٤) الجنى الداني : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٣١ .

(٦) مغني اللبيب : ١ / ٧٩ ، ارتشاف الضرب : ٤/ ١٦٨٠ ، رصف المباني : ١٣٤ .

obeikandl.com

الله أو يغفرَ لي)[1] أي : لأطيعنَّ الله كي يغفر لي ، فما بعد (أو) وهو (المغفرة) غرض لما قبلها وهو (إرضاء الله) ؛ إذ إن المغفرة هي العلة الغائية الحاملة على الإرضاء . فما قبل (أو) إذًا يكون سببًا فيما بعدها و ما بعدها يكون غرضًا (علة غائية) لما قبلها .

ويصحُّ تقدير(كي) وإفادة (أو) للتعليل في قولهم (لألزمنَّك أو تعطيَني حقي)[2] و(لأسيرنَّ في البلاد أو أستغنيَ)[3] أي : كي تعطيني ، وكي أستغني . فعُلِّلت الملازمة والسير بذكر الغرض الذي هو إعطاء الحق والاستغناء ، وكذا قول الشاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْآمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ[4]

فـ(أو) التعليلية يليها الغرض من حصول ما قبلها ، ويسبقها السبب في حصول ما بعدها -إن حصل- وتوضيح ذلك أن قولهم : (لألزمنَّك أو تعطيني حقي) ، يُقدَّر : لألزمنَّك كي تعطيني حقي . والملازمة هي سبب الإعطاء ، والإعطاء غرضها .

٤- التعليل بـ(عن) :

(عن) حرف جر يأتي لمعانٍ كثيرة أشهرها وأكثرها استعمالًا المجاوزة فهو يقتضي مجاوزة المجرور نحو غيره وتعديه عنه كقولهم : (رميت السهم عن القوس) أي جاوز السهم القوس بسبب الرمي[5]. وهذا المعنى هو الأصل في (عن) ، ولم يذكر البصريون غيره ، حتى إنهم تكلفوا له المواضع التي لا تظهر فيها المجاوزة معنى يصلح لها[6] .

---

(١) ارتشاف الضرب : ٤/ ١٦٨١.

(٢) مغني اللبيب : ١ / ٧٩ .

(٣) رصف المباني : ١٣٣ .

(٤) مغني اللبيب : ١/ ٧٩ ، شرح ابن عقيل : ٤ / ٨ .

(٥) الجنى الداني : ٢٤٥ ، حاشية الصبان : ٢ / ٣٣٥.

(٦) الجنى الداني : ٢٤٥ ، حاشية الصبان : ٢ / ٣٣٥ .

وقد تأتي (عن) للتعليل ويكون ذلك عندما تدخل على ما هو سبب لما قبلها ويحسن مكانها لفظه (بسبب) نحو: (لم أحضر إليك إلا عن طلب منك) أي : بسبب طلب منك[١] . والتعليل بـ(عن) - كما يظهر - تعليل بالسبب ؛ فالحضور متسبب عن الطلب .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ... ﴾[٢] (التوبة : ١١٤) فسبب استغفار إبراهيم (عليه السلام) وعده لأبيه به . ومثله قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ... ﴾[٣] (هود : ٥٣) أي : بسبب قولك . وكذلك قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾(البقرة : ٣٦)قال فيها الزمخشري : "الضمير في عنها للشجرة ، أي : فحملهما الشيطان على الزلة بسببها"[٤] .

ومن ذلك في الشعر قول النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ ... وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مَوْقِدَ نَارِهَا

عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَـةٍ أُسَاوِدُ رَبَّهَا ... وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ فَوْقَ شِفَارِهَا [٥]

أي : من أجل ذات أولية .

أمَّا قولهم : (قام فلان لك عن إكرامك ، وشتمك عن مزاح معك)، فـ(عن) فيه عند المالقي بمعنى : من أجل [٦]. والذي يبدو أن (عن) في (عن إكرامك) أفادت تعليلًا بالغرض؛ أي أنها علة غائية ، فالإكرام هو الغرض من القيام .

---

(١) جواهر الأدب : ١٦٤ ، النحو الوافي : ٢ / ٥١٣ .
(٢) الجنى الداني : ٢٤٧ .
(٣) الجنى الداني : ٢٤٧ .
(٤) الكشاف : ١/ ٢٥٤ .
(٥) رصف المباني : ٣٦٩ .
(٦) رصف المباني : ٣٦٩ .

obeikandl.com

أمَّا (عن) في (عن مزاح) فيحتمل أن تفيد تعليلًا بالغرض أو تعليلًا بالسبب ، معنى ذلك : أن المزاح إما أن يكون سببًا للشتم والمعنى : شتمك بسبب ما وقع من مزاح معك ، أو أن يكون المزاح واقعًا بالشتم ، أي أن يكون غرضًا -علة غائية- للشتم ، وأُريدَ بالشتم الممازحة.

ويمكننا أن نقول أيضًا أن التعليل بـ(عن)عامة قليل الورود قياسًا بالعديد من حروف الجر الأخرى .

٥ -التعليل بـ (في) :

الحرف(في) من الحروف الجارَّة ، يجيء لمعان كثيرة ، والأصل فيه الظرفية مكانًا وزمانًا ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ(٢) وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ... ﴾ [الروم] ولم يثبت البصريون له غير هذا المعنى[١].

ومما ذُكِرَ له من المعاني التعليل[٢]، ويكون إذا دخل على ما هو علة وسبب لما قبله ، وتحسن مكانه لفظة (بسبب) ، كقوله تعالى : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(الأنفال : ٦٨) في تعليلية[٣]، والتقدير : بسبب ما أخذتم . ويظهر من ذلك أن التعليل بـ(في) تعليل بالسبب ؛ فما أخذوه سبب لمسهم بالعذاب .

ومثله قوله تبارك وتعالى على لسان امرأة العزيز : ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ... ﴾ (يوسف: ٣٢). قال ابن عاشور في تفسيره : "في للتعليل مثل (دخلت امرأة النار في هرة)"[٤] .

وقال ابن عاشور في قوله تعالى : ﴿ ... جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ... ﴾ (الشورى : ١١) أن (في) : "حرف مستعار لمعنى السببية تشبيهًا للسبب بالظرف في احتوائه على مسبباته ..."[٥] .

---

(١) الجنى الداني : ٢٦٦ .

(٢) الجنى الداني :٢٦٦ ، مغني اللبيب : ١/ ١٩١.

(٣) التحرير والتنوير : ١٠ / ٧٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٦٤ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٥ / ٤٥ .

ومن الحديث الشريف قوله (ﷺ) : (عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ،ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)[١]، فحبس الهرة هو سبب دخول المرأة النار .

وكذلك قوله (ﷺ) : (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير)[٢] ويقول ابن مالك تعليقًا على الحديثين الشريفين : أنهما تضمنا استعمال (في) الدالة على التعليل[٣] .

أما ورود (في)التعليلية في الشعر ففي قول الشاعر :

فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكِ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بُثَيْنُ لَقُونِي[٤]

نخلص من ذلك إلى أن (في) قد أفادت التعليل فضلًا عن إفادتها الظرفية .

٦- التعليل بـ(كي) :

"(كي) حرف من حروف المعاني ينصب الأفعال بمنزلة (أنْ) ومعناه العلة لوقوع الشيء"[٥] . و(كي) حرف معناه العلة والغرض ، وهو على ضربين : أن يكون حرف جر بمعنى (اللام) ، أو حرف نصب بمعنى (أنْ)[٦] ، وهو من الحروف الداخلة على الجمل الفعلية التي فعلها مضارع ، ويقوم بوظيفة ربط هذه الجملة بالجملة التي قبلها ، فتكون الجملة الثانية علة أو غرضًا للجملة السابقة لها ، وهذا الارتباط بين الجملتين يكوِّن جملة مركَّبة[٧] .

---

(١) صحيح مسلم : الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) : ١١٢٤ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : جمال الدين بن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق : الدكتور طه محسن ، مكتبة ابن تيمية ، بغداد ، ط٢ (١٤١٣هـ) : ١٢٣.

(٣) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٤) شواهد التوضيح : ١٢٣.

(٥) لسان العرب : ٣٩٧١ .

(٦) شرح المفصل : ٩ / ١٤ .

(٧) الجملة العربية : محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠١م : ١٠٩.

obeikandl.com

يكون الحرف (كي) على ضربين : الضرب الأول : أن يكون حرف جر ، وهو عندئذ يفيد التعليل[١] ، ويكون على ثلاثة أوجه :

الأول – يدخل على (ما) الاستفهامية : وذلك في قولهم في السؤال عن علة الشيء : كيمه بمعنى : لمه[٢] . يقول سيبويه : "فمن قال كيمه فإنه يضمر (أن) بعدها ، وأما من أدخل عليها اللام ولم يكن من كلامه كيمه فإنها عنده بمنزلة (أنْ) وتدخل عليها اللام كما تدخل على (أنْ) ومن قال كيمه جعلها بمنزلة اللام"[٣] .

الثاني – يدخل على المصدر المسبوق من (ما) المصدرية وصلتها : كقول الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَادَ الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ[٤]

الثالث– يدخل على (أنْ) المصدرية المضمرة ، نحو : (جئتك كي تكرمني) إذا قدَّرت النصب بـ(أنْ)[٥] .

و(كي) في هذه الأوجه جميعًا بمنزلة لام التعليل معنىً وعملًا[٦] .

الضرب الثاني : أن يكون حرفًا مصدريًّا ناصبًا بمنزلة (أنْ) معنىً وعملًا إذا دخل عليه لام التعليل[٧] . وهذه اللام تدخل عليها لفظًا أو تقديرًا ، فمن الأول قولك : (جئت لكي أتعلم) أي : جئت للتعلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ... ﴾(الحديد : ٢٣) وكذا قول الشاعر :

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ[٨]

---

(١) الجنى الداني : ٢٦٣ ، رصف المباني : ٢١٥ .
(٢) مغني اللبيب : ١ / ٢٠٦ .
(٣) الكتاب : ٣ / ٦ .
(٤) الجنى الداني : ٢٦٢ ، مغني اللبيب : ١ / ٢٠٦ .
(٥) مغني اللبيب : ١ / ٢٠٦ .
(٦) النحو الوافي : ٢ / ٤٥٧ .
(٧) الجنى الداني : ٢٦٣ ، رصف المباني : ٢١٥ ، مغني اللبيب : ١ / ٢٠٦ .
(٨) رصف المباني : ٢١٥ .

obeikandl.com

فـ(كي) هنا مصدرية نصبت بنفسها الأفعال (أتعلم ، تأسوا ، يعلم) والمصدر المسبوك في محل جر باللام ، ولا يجوز – عند معظم النحاة – ان تكون (كي) حرف جر مع وجود لام التعليل ؛ لأنها ستكون للتعليل ؛ وحرف التعليل عندهم لا يدخل على حرف تعليل ، كما أن حرف الجر لا يدخل على مثله . فباقتران (كي) باللام ظاهرة تتعين مصدريتها[١] .

أما تقدير لام التعليل فكقولك : (جئت كي أكرمك) ، إذ المصدر المسبوك من (كي) وصلتها في محل جر باللام المقدَّرة . ويجوز هنا أن تُعَدَّ (كي) حرف جر وتُقَدَّر (أنْ) بعدها (دون تقدير اللام)[٢] كما في قوله تعالى : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً ﴾ (الحشر : ٧) .

وأما إذا ظهرت اللام قبل (كي) وظهرت أن بعدها ، فيحتمل الوجهان ، من ذلك قول الشاعر :

أَرَدْتَ لِكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقِرْبَتِي فَتَتْرُكَهَا شَنًّا بِبَيْدَاءَ بَلْقَعَ [٣]

فـ(كي) إمَّا أن تكون حرفًا مصدريًّا واللام جارة للمصدر المؤول وأن توكيد لـ(كي) ، أو أن تكون (كي) حرفا تعليليًّا جارًّا مؤكِّدًا للام ، وأن مصدرية [٤].

وبناءً على ما سبق تكون (كي) حرف جر مفيدًا للتعليل ، أو حرف نصب مصدريًّا لا تعليل فيه ، قال السيوطي : "وهي إذا كانت ناصبة لا يُفهَم منها السببية ، لأنها مع الفعل بعدها بتأويل المصدر كأن"[٥]. أمَّا الكوفيون فيذهبون إلى أنَّ (كي) لا تكون جارة بل تأتي ناصبة دائمًا[٦] .

---

(١) شرح الرضي : ٤ / ٥٠ ، الجنى الداني : ٢٦٣ ، مغني اللبيب : ١ / ٢٠٦ .
(٢) شرح المفصل : ٨ / ٤٩ .
(٣) مغني اللبيب : ١ / ١٩٩ .
(٤) شرح المفصل : ٨ / ٤٩ .
(٥) همع الهوامع : 2 / ٢٩٠ .
(٦) الجنى الداني : ٢٦٢ .

ولعلَّ الأرجح والأنسب أن تكون (كي) مفيدة للتعليل على كل حال ؛ إذ إنها أينما كانت كان ما بعدها علةً لما قبلها سواء دخلت عليها اللام أم لم تدخل ، أو ذُكِرَت بعدها (أنْ) أم لم تُذكَر[1] ، قال الرماني : "ومعناها في كلا الوجهين العلة ، وذلك أن ما قبلها علةً لما بعدها"[2] . وربما من أجل ذلك نرى النحاة قد حمَّلوا الأحرف الأخرى عليها عند إفادتها تعليلًا ، فقيل : لام كي، و(أو) بمعنى (كي) ، و(حتى) بمعنى (كي) .

والتعليل بـ(كي) هو تعليل بالغرض ؛ إذ يدخل على ما هو غرض وعلة غائية لما قبله ، ولذا قيل : هو "حرف معناه العلة والغرض من ذلك أنك إذا قلت قصدتك كي تثيبني فُهِم من ذلك أن الغرض إنما هو الثواب وهو علة لوجوده"[3]، فالثواب هو العلة الغائية ، كما أن القصد هو سبب حصوله . قال تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (طه : ٤٠) فَقَرُّ العين ودفع الحزن غرض لإرجاع موسى(عليه السلام) إلى أمه . ومثله أيضًا قوله تبارك وتعالى : ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤)﴾ [طه] ، فالتسبيح والذكر الكثيران غرض للدعاء المتقدِّم على (كي) .

ولا يكون التعليل بـ(كي) إلَّا تعليلًا بالغرض ، فلا تُعلِّل بالسبب سواء دخلت على الفعل المضارع أم على (ما) الاستفهامية أم على المصدر المؤول .

٧- التعليل بـ(مِنْ) :

(مِن) حرف جر يأتي لمعانٍ أشهرها ابتداء الغاية ، كقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء : ١)[4] فابتداء الإسراء كان بالمسجد الحرام . وهو يقع لهذا المعنى في المكان - كما مُثِّلَ - وفي الزمان

---

(١) معاني النحو : ٣ / ٣٥٢ .

(٢) معاني الحروف : أبو الحسن عليّ بن عيسى الرماني النحوي (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ، جدة ، ط٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) : ١٠٠ .

(٣) شرح المفصل : ٩/ ١٤ .

(٤) الجنى الداني : ٣٠٨ .

كقوله تعالى : ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة : ١٠٨)[١] ويقع في غيرهما كقوله تعالى : ﴿خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾ (الحج : ٥)[٢] . وابتداء الغاية هو المعنى الغالب على (مِنْ) حتى إن طائفة من النحويين ذهبت إلى أن سائر المعاني التي ذُكِرَت لـ(مِنْ) راجعة إليه[٣].

وقد تأتي (مِنْ) مفيدةً التعليل ، وذلك عند دخولها على ما يكون سببًا وعلةً في وجود متعلقها ، ويحسن مكانها لفظة (سبب)[٤]، نحو قوله تعالى : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة : ١٩) أي : بسبب الصواعق أو "لأجل الصواعق"[٥] ، فهي ما حملهم على أن يجعلوا أصابعهم في آذانهم ، ومنه أيضًا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[٦] (نوح : ٢٥) فـ(مِنْ) هنا دخلت على (خطيئاتهم) وهذه الخطيئات سبب الإغراق .

والتعليل بـ(مِن) كما يظهر هنا تعليل بالسبب ؛ إذ إنها تدخل على سبب سابق للمُسبَّب، فالصواعق سابقة للجعل ، والخطيئة سابقة للإغراق .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ (البقرة : ٧٤) أي : بسبب خشيته ، وهذه سابقة للمسبَّب الذي هو الهبوط .

وقد يكون منه قوله : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج : ٢٢، السجدة : ٢٠) فـ(مِنْ) قد تكون للتعليل وتكون متعلقة بـ(أرادوا) أو بـ(يخرجوا)[٧] ، أي أن الغم سبب الإرادة أو الخروج .

---

(١) المصدر والصفحة أنفسهما .
(٢) همع الهوامع : ٢ / ٣٧٦ .
(٣) مغني اللبيب : ١/ ٣٤٩ .
(٤) النحو الوافي : ٢ / ٤٦٣ .
(٥) التحرير والتنوير : ١ / ٣٢٠ .
(٦) مغني اللبيب : ١ / ٣٥٠ .
(٧) مغني اللبيب : ١ / ٣٥٧ .

ومثل ذلك أن تقول :"(قتله من إملاق) إذ يكون المعنى أن القتل صدر من الإملاق وحصل منه فهو مبدأ الفعل ، ونحو : (بكى من الألم) و (عضَّ إصبعه من الندم) بمعنى حصل البكاء من الألم وصدر منه ، وحصل العض من الندم وصدر منه . فالندم أسبق من العض ومنه حصل العض ، والألم أسبق من البكاء ومنه صدر البكاء "[1]، كما أن الغم أسبق من إرادتهم الخروج .

وقيل إن (مِنْ) في قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ (الزمر : ٢٢) ترادف (عن) أو هي للابتداء ، وقيل هي للتعليل والمعنى : "من أجل ذكر الله لأنه إذا ذُكِر قست قلوبهم"[2]، فذكر الله إذن سبب لقساوة قلوبهم .

ومن الشعر قول الشاعر :

وَذَلِكَ مِنْ نَبَأٍ جَاءَنِي وَخَبَّرتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ[3]

فما أُشِير إليه بـ(ذلك) مُسَبَّب عما جاء من نبأ ، أي : بسبب نبأ جاءني . ومنه قول الفرزدق مادحًا علي بن أبي طالب :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[4]

إذ المهابة هنا هي ما سببت الإغضاء .

واختُلِفَ في (مِنْ) في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ (قريش : ٤) فمن قائل : إنها لابتداء الغاية ، ومن قائل: إنها بمعنى(عن) ، وقيل : هي للتعليل . أما ابتداء الغاية فلأن الجوع ابتداء الإطعام ، والمعنى إنه كان جائعًا فأطعمه . وأما معنى (عن) فعلى أنه

---

(١) معاني النحو : ٣/ ٩١ .
(٢) مغني اللبيب : ١/ ٣٥١ .
(٣) مغني اللبيب : ١/ ٣٥٠ .
(٤) مغني اللبيب : ١/ ٣٥٠ .

"الإطعام صرف الجوع"[١]، أي : أبعدِ الجوع عنه . وأما التعليل فإنها تكون بمعنى : من أجل الجوع ، وردَّه بعضهم بأن الذي أفهم التعليل هو (أجل) لا (مِنْ)[٢] .

ثالثًا : التعليل بالحروف الثلاثية :

١- التعليل بـ(إِذَنْ) :

"ذهب الجمهور إلى أنها حرف بسيط ، وبعض الكوفيين على أنها اسم ظرف ، وهو (إذ) ألحقه التنوين فنُقِل إلى الجزائية فبقي منه معنى الربط والسبب"[٣] . و(إِذَنْ) من عوامل الأفعال، ينتصب المضارع بعدها بثلاثة شروط فصلها النحاة[٤]، وليس هذا موضع ذكرها .

ومعناها الجواب والجزاء[٥] ، "أما الجواب فيُقصَد به وقوعها في كلام يكون مترتبًا على كلام قبله ترتب الجواب على السؤال ... والجواب معنى يلازمها دائمًا في كل استعمالاتها"[٦] ، وقد تكون للجواب وحده . نحو أن يقول لك القائل : أحبك ، فتقول : إذًا أظنك صادقًا . فلا يُتصوَّر هنا الجزاء[٧] .

وأما الجزاء فهو غالب فيها ، ويُرَاد به أن يكون مضمون الكلام الذي هي فيه جزاء لما قبله ، مُسبَبًّا – في الغالب – عنه ، مرتبطًا به ، وهو أثر من آثاره ، يوجد بوجوده[٨] ، نحو أن يقول لك صديقك : سأغضي عن هفوتك ، فتقول له : إذن أعتذرَ عنها مخلصًا شاكرًا ، فالسببية تبدو واضحة بين الاعتذار والإغضاء عن الهفوة[٩] .

---

(١) شرح المفصل : ٨ / ٤١-٤٢ .
(٢) البرهان : ٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠ .
(٣) ارتشاف الضرب : ١٦٥٠ .
(٤) الجنى الداني : ٣٦١ .
(٥) الجنى الداني : ٣٦٤ .
(٦) النحو الوافي : ٤ / ٣٠٨ .
(٧) الجنى الداني : ٣٦٤ .
(٨) النحو الوافي : ٣٠٩/٤ .
(٩) المصدر والصفحة أنفسهما .

ثم إن (إذن) – وإن دلَّت على أن مضمون الجملة التي تحتويها مُسبَّب عمَّا قبلها – على وجهين[1] :

الأول : أن تدل على إنشاء السببية والشرط ، إذ لا يُفهَم الارتباط من غيرها ، نحو أن يُقَال : أزورك ، فتقول : إذن أكرمك ، فجعلت الزيارة شرطًا للإكرام وسببًا له ، ولو أسقطت (إذن) من الكلام لم يُفهَم منه ارتباط أو سببية .

الثاني : أن تؤكد جوابًا ارتبط بمتقدِّم أو تنبه على مُسبَّب حصل في الحال ، كأن تقول : إن أتيتني إذًا آتك ، ولو حُذِفت (إذن) بقي الربط وفُهِمت السببية من التركيب الشرطي . وكذا لو حُذِفت من قولك : والله إذًا لأفعلن ، فالربط مفهوم من دونها ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : ١٤٥) فهي مؤكِّدة للجواب مرتبطة بما تقدَّم .

نخرج مما سبق بأن (إذن) تدل في الغالب على الجواب والجزاء معًا ، وعندئذ تفيد أن مضمون جملتها مسبَّب عمَّا قبلها .

ومن ثَمَّ فإن (إذن) تفيد التعليل ، وتعليلها يكون بذكر السبب ، فجوابك لما قال أزورك: إذن أكرمك ، فيه أن (إذن) تفيد أن الإكرام مسبَّب عن الزيارة ، والزيارة سبب سابق للإكرام . وكذا لو قيل : كثر كلام فلان ، فيُجَاب : إذًا سيسأم سامعوه ؛ فكثرة الكلام سبب سأم السامعين .

وواضح في هذه الأمثلة أن ما قبل (إذن) هو السبب المباشر في مضمون جملتها ، وليس الأمر كذلك دائما ؛ إذ قد يكون معكوس مضمون ما قبلها سببًا في مضمون جملتها ، كقولك: (ما جاءني زيد وما ذهبت إليه ، إذًا لنفعته) فالمجيء والذهاب غير حاصلين (منفيان) ولو حصلا لكانا سببًا للنفع . ومثل هذا كثير في القرآن ، قال الله جلَّ وعلا : ﴿وَمَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا

---

(١) ارتشاف الضرب : ١٦٥٢ – ١٦٥٤ ، البرهان : ٤ / ١٨٧ .

يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون : ٩١) فذهاب كل إله بما خلق ، وعلو بعضهم على بعض إنما يتسبب من اتخاذ الله ولدًا ومن وجود إله معه (جلَّ الله عن ذلك وتعالى علوًّا كبيرًا) . ومثل ذلك قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت : ٤٨) أي كونه يقرأ ويخط هو السبب في ارتياب المبطلين ، وهما في الآية منفيان وغير حاصلين . وكذا قوله : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام : ٥٦) فالضلال يتسبب عن اتباعه أهواءهم والحال أنه لم يتبع أهواءهم ، فالسبب هو معكوس ما قبل (إذن) .

والذي يبدو في كل ذلك أن الأسباب (ما قبل إذن) منفية (ولهذا هي غير حاصلة) ، وكونها منفية يؤدي بالضرورة إلى انتفاء المسبَّب ضمنًا . وقد يُقال مثل ذلك في قوله : ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمِ شَيْئًا قَلِيلًا(٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ(٧٥)﴾ [الإسراء] فكاد تفيد أنَّ ما بعدها غير حاصل بل على وشك الحصول ، وعليه فإن الركون منتفي الحدوث فهو سبب منفي في المعنى ، وإذاقة ضعف الحياة وضعف الممات مُسبَّب انتفى وقوعه ضمنًا لانتفاء سببه .

وقد ينتفي السبب لكونه شرطًا منتفيًا ضمنًا ، ذلك إذا سُبِقَت (إذن) بتركيب شرطي كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا(٦٧)﴾ [النساء] فإتيانهم الأجر يتسبب عن الاتعاظ لكنهم لم يفعلوا ما يوعظون به .

ونلحظ في (إذن) في الآيات المتقدمة أنها متضمنة أداة شرط وجملته ، فكأنه قيل في الآيات السابقة (تقديرًا) : لو اتخذ الله ولدًا وكان معه إله لذهب كل إله بما خلق ... ، لو كنت تتلو كتابًا قبله أو تخطه بيمينك لارتاب المبطلون ، لو اتبعت أهواءكم لضللت ... ، لو فعلوا ما يوعظون به لآتيناهم ...، وربما لهذا قيل أن الغالب في (إذن) تضمن معنى الشرط[1].

([1]) شرح الرضي : ٢ / ٨٤٢ .

ثم إنها إذا كانت في الماضي جاز إجراؤها مجرى (لو) في إدخال اللام في جوابها ، كقوله تعالى السابق : ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ...﴾ "أي : لو ركنت إليهم شيئًا قليلًا لأذقناك"[١]. "قال الفَرَّاء : حيث جاءت بعدها اللام فقبلها (لو) مقدَّرة ، إن لم تكن ظاهرة"[٢] . ومنه قول الشاعر :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبَحْ إِبِلِي بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

إِذًا لَقَـامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَانَا [٣]

أي : لو كنت من مازن لقام بنصري معشر خشن .

وهي إذا كانت بمعنى الشرط في المستقبل جاز دخول الفاء في جزائها ، كقول الشاعر:

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَنْ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدَيَّ[٤]

أي : إن أتيت بشيء أنت تكرهه فلا رفعت...[٥].

ولأن (إذن) تتضمن معنى الشرط فتكون بمعنى أداة الشرط مع فعله فقد تستعمل بعد (لو) و(إنْ) مؤكدة لهما ، كأن تقول : لو زرتني إذن أكرمتك ، وإن جئتني إذن أُزُرْكَ[٦] ، وهي هنا إنما تؤكد العلاقة السببية الحاصلة بالشرط .

٢- التعليل بـ(إنَّ) :

سنتناولها في التعليل بالجملة بالفصل الثالث .

٣- التعليل بـ(أنَّ) :

سنتناولها في مبحث المصدر المؤول بالفصل الثاني .

---

(١) المصدر نفسه : ٢ / ٨٤٣ .
(٢) مغني اللبيب : ١/ ٢٨ .
(٣) مغني اللبيب : ١/ ٢٨ .
(٤) مغني اللبيب : ١/ ٣٢ .
(٥) شرح الرضي : ٢/ ٨٤٤ .
(٦) المصدر والصفحة أنفسهما .

obeikandl.com

٤- التعليل بـ(على) :

حرف الجر(على) يأتي لمعانٍ من أشهرها وأكثرها استعمالًا الاستعلاء كقوله تعالى : ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (المؤمنون : ٢٢) ، أو ما يقرب منه كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه : ١٠) وأكثر البصريين لم يثبتوا لـ (على) سوى هذا المعنى وتأوَّلوا ما أوهم خلافه[١].

وقد تأتي (على) لإفادة التعليل إذا كانت داخلة على ما هو سبب في وجود متعلقها

ومن ذلك قوله جلَّ ثناؤه : ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[٢] (البقرة : ١٨٥) أي: لهدايته إياكم ، والهداية واقعة قبل التكبير وهي سببه . ومثله قول الشاعر :

وَدَعْ مَا عَلَيْهِ ذَمَّ مَنْ كَانَ قَدْ ذَمَّا [٣]

فدخلت (على) على ما هو سبب لوقوع الذم وهو الضمير الهاء العائد على الاسم الموصول (ما) . وجُعِل من ذلك [٤] قولهم : (علام فعلت كذا أو تركت كذا ؟) وقول الشاعر :

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ[٥]

فعلى دخلت على (ما) الاستفهامية التي هي كناية عن علة الفعل ، وهذا سؤال عن العلة والسبب .

وقد تكون (على) تعليلية في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى...﴾ (البقرة : ١٧٧) بعود

---

(١) الجنى الداني : ٤٧٦ ، مغني اللبيب : ١/ ١٦٣.
(٢) الجنى الداني : ٤٧٦ .
(٣) جواهر الأدب : ١٨٧ .
(٤) جواهر الأدب : ١٨٧ .
(٥) مغني اللبيب : ١/ ١٦٤ .

obeikandl.com

الضمير على لفظ الجلالة ، أي : إن حبهم لله هو ما دفعهم إلى إعطاء المال . والتعليل بـ(على) تعليل بالسبب كقولنا : (شكرت المحسن على إحسانه) و(جازيته على صنيعه) فالإحسان سبب لشكر المحسن ، والصنيع سبب المجازاة . وقد تكون بمعنى (مع) ؛ أي إنهم يعطون المال مع حبهم له .

٥- التعليل بـ(كما):

اختلف النحاة في (كما) اختلافًا كبيرًا ، فاختلفوا في كونها حرفا بسيطًا أو مركبًا ، واختلفوا في تركيبها ، أهي مركبة من الكاف و (ما) أم من (كي)و(ما) ، واختلفوا في معنى الكاف وعملها أو عدمه ، ونوع (ما) وتأثيرها وعدمه .

فأما كونها حرفًا بسيطًا فقد ذهب إليه المالقي ورأى أن لها ثلاثة معانٍ ، "فقد تأتي بمعنى (كي) فتنصب ما بعدها كما تنصب (كي) ،كقول عمر بن أبي ربيعة :

وَطَرْفَكَ إِمَّا جِئْتَنَا فَاحْبِسَنَّهُ كَمَا يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

فالمعنى : كي يحسبوا . أو قد تكون بمعنى (كأنَّ) ، كقولك : شتمني كما أنا أبغضه ، أي كأني أبغضه . أو تكون بمعنى (لعلَّ) كقول الراجز :

لَا تَشْتِمِ النَّاسَ كَمَا لَاتُشْتَمِ

والمعنى لعلَّك لا تُشتَمَ"[1] .

وردَّه المرادي بأن (كما) في هذه المواضع مركَّبة من كاف التشبيه أو كاف التعليل و(ما) ، وذكر أن ما من أحد قال ببساطة (كما) غيره [2].

وأما كونها مركبة من الكاف و(ما) فقد مرَّ بنا جانب منه عند الحديث عن الكاف .

---

(1) رصف المباني : ٢١٣ - ٢١٤ .

(2) الجنى الداني : ٤٨٤ - ٤٨٥ .

وأما كونها مركبة من (كي) و (ما) فيكون ذلك عندما تدخل على الفعل المضارع . فذهب الكوفيون إلى أن (كما) بمعنى(كيما) وما بعدها منصوب إذا كانت (ما) غير كافة ويجوز الرفع بعد (ما) كافة لـ(كي)عن العمل ، واستحسنه المبرد (ت٢٨٥هـ)[١] وعليه أبو علي الفارسي ؛ إذ يرى أن أصلها (كيما) وحُذِفت الياء تخفيفًا[٢] . وذهب البصريون إلى أن (كما) لا تأتي بمعنى (كيما) ولا يجوز نصب ما بعدها[٣] . وذهب ابن مالك إلى أن الكاف تعليلية و (ما) كافة ونصب الفعل بها لشبهها في المعنى [٤] . ومما احتج به الكوفيون على أن (كما) تأتي بمعنى (كيما) قول عمر بن أبي ربيعة المتقدم ، وأقوال لشعراء :

١- جَاءَتْ كَبِيرٌ كَمَا أَخَفِّرَهَا وَالْقَوْمُ صِيدٌ كَأَنَّهُمْ رَمِدُوا [٥]

٢- لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ كَمَا لَا تُظْلَمُوا [٦]

٣- اسْمَعْ حَدِيثًا كَمَا يَوْمًا تُحَدِّثُهُ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ إِذَا مَا سَائِلٌ سَأَلَا [٧]

٤- يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ كَمَا لِأَخَافَهُ تَشَاوَسْ رُوَيْدًا إِنَّنِي مَنْ تَأَمَّلُ [٨]

واحتج الكوفيون بهذه الأبيات على أن (كما) تكون بمعنى (كيما) وأن الفعل يُنصَب بها ، وخالفهم البصريون طاعنين في رواية النصب في الأبيات بأن البيت الأول رُوِي (كما أخفِّرُها) بالرفع وكذلك رواه الفراء ، وأن رواية الأرجوزة بالتوحيد :

لَا تَظْلِمِ النَّاسَ كَمَا لَا تُظْلَمُ

وأما البيت الرابع فاتفق الرواة أن الرواية فيه (كما يومًا تحدثُه) بالرفع[٩] .

في هذه الشواهد الخمسة جميعًا نجد أن (كما) قد دخلت على ما هو غرض لما قبلها ، فحسبان أن الهوى حيث ينظر ، غرض لما قبلها (وهو حبس الطرف أو الأمر به)، والتخفير

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : أبو البركات الأنباري ، مطبعة السعادة، ط٤ ، (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م) : ٢ / ٥٨٥ .

(٢) الجنى الداني : ٤٨٥ .

(٣) الإنصاف : ٢ / ٥٨٥ .

(٤) مغني اللبيب :١ / ٢٠٠ .

(٥) الإنصاف :٢/٥٨٥ .

(٦) الإنصاف : ٢ / ٥٨٧ ، شرح الرضي : ٤ / ٥١ .

(٧) الإنصاف : ٢ / ٥٨٨ .

(٨) الانصاف : ٢ / ٥٨٩ .

(٩) الإنصاف : ٢/ ٥٩٠ - ٥٩١ .

(الإجارة) غرض المجيء ، كما أن عدم الظلم هو الغرض من النهي عن ظلم الناس ، وغرض سماع الحديث هو التحديث عن ظهر غيب ، وتقليب العين غرضه التخويف ، وهذا إنما هو معنى (كي) إذ تعلل بالغرض ، لذا فالأرجح والأنسب في ذلك هو مذهب الكوفيين والمبرد والفارسي في أن (كما) بمعنى (كيما) . ولا تَرُدُّ ذلك رواية البصريين بالرفع لأن (ما) قد تكون كافة لـ(كي) عن عمل النصب ، وقد أجازه الكوفيون ، وجاء من ذلك بالرفع قول أبي النجم :

قُلْتُ لِشَيْبَانَ : ادْنُ مِنْ لِقَائِه كَمَا تُغَدِّي الْقَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ[1]

أمَّا قول الراجز فيحتمل أن يكون أصل (كما) فيه (كيما) ، أو أن يكون الكاف دخلت عليها (ما) ، وذلك أن النهي عن ظلم الناس أو تركه قد يكون غرضه ألَّا يظلم المنهي، وعندئذ تكون (كما) معلِّلة بالغرض فهي بمعنى (كي) أو (كيما) . وهذا تناسبه رواية الكوفيين:

لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ كَمَا لَا تُظْلَمُوا

أي : كي لا تُظلَموا . وأما على الرواية الثانية (رواية التوحيد) ، فقد يكون المعنى على التشبيه ، أي : لا تظلمهم وشابه ما أنت عليه من عدم ظلمهم لك ، فالكاف هنا للتشبيه . وقد يكون المعنى على ما جاء في الرواية الأولى ، فتكون (ما) كافة لـ(كي) عن العمل ، ولا يبعد عنه من قال أنها بمعنى (لعلَّ) .

ولعلَّ الغالب هنا إذا كان الفعل بعد(كما) مماثلًا لفظًا لما قبلها وغير منصوب أن تكون الكاف فيها للتشبيه ،كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد : ١٢) .

---

(١) الإنصاف : ١ / ٥٩١ .

وخلاصة التعليل بفلظة (كما) ، أنها تدخل على الفعل المضارع وتدخل على غيره ، فعند دخولها على غيره كأن تدخل على جملة اسمية أو فعل ماضٍ ، فأصلها كاف التشبيه دخلت عليها (ما) .

أما إذا دخلت على الفعل المضارع ، فإذا كان منصوبًا فإن أصلها (كيما) وتفيد هنا التعليل بالغرض ، وإذا كان مرفوعًا احتمل فيه ذلك فيكون أصلها (كي) مكفوفة بـ (ما) ، واحتمل أيضًا أن تكون كاف التشبيه مكفوفة بـ(ما) .

رابعًا : التعليل بالحروف الرباعية :

١- التعليل بـ (حتَّى) :

تُستعمَل (حتَّى) على ثلاثة أوجه : أحدها : أن تكون حرف جر بمنزلة (إلى) ، ومعناها انتهاء الغاية ، ولا يكون دخولها هنا إلا على اسم ظاهر صريح ، كقوله تعالى : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر : ٥) أو على مصدر مؤول من (أنْ) والفعل المضارع على مذهب البصريين . والوجه الثاني : أن تكون عاطفة : وهي تعطف اسمًا ظاهرًا لا مُضمَرًا ولا تعطف الجمل ، وتتضمن معنى الغاية ، كقولهم : (قَدِمَ الحجاج حتى المشاة) . والثالث : أن تكون حرف ابتداء يُستأنَف بعده الكلام ، فتدخل على الجملة الاسمية والفعلية المتصدَّرة بمضارع مرفوع أو ماضٍ[١] ، كقول الفرزدق :

فَيَا عَجَبَا حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعُ[٢]

ومضمون الجملة بعدها غاية لشيء قبلها ، وهي بهذا تشارك الجارة والعاطفة في معنى الغاية[٣].

وعند الكوفيين تكون (حتى) الداخلة على المضارع المنصوب ناصبة بنفسها ، فتكون لذلك وجهًا رابعًا . وزاد بعض النحويين وجهًا خامسًا وهو أن تكون (حتى) بمعنى الفاء[٤].

ومن ثَمَّ فإن (حتى) تكون داخلة إما على اسم مفرد صريح أو جملة اسمية أو جملة فعلية. أمَّا دخولها على الاسم المفرد أو الجملة الاسمية فلا تعليل فيه ، وأما دخولها على الجملة الفعلية

---

(١) الجنى الداني : ٥٤٢ - ٥٥٢ .

(٢) شرح المفصل : ٨ / ١٨ .

(٣) الجنى الداني : ٥٥٢ – ٥٥٣ .

(٤) الجنى الداني : ٥٤٢ .

ففيه تفصيل ؛ ذلك أن الفعل بعدها إما ن يكون مضارعًا أو يكون ماضيًا ، والمضارع إمَّا أن يكون منصوبًا أو مرفوعًا .

أمَّا المضارع المنصوب فاشتُرِط فيه أن يكون مستقبلًا أو مؤولًا بالمستقبل ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ (الحجرات : ٩) فـ(تفيء) مستقبل باعتبار زمن التكلم بالأمر وبالقتال وإلقائه إلى المُخاطَب ، وهو وغير واقع في الحقيقة ، ولا متحقق في الواقع . ومن المؤوَّل بالمستقبل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ (البقرة : ٢١٤) فقول الرسول متحقق في الواقع كما أن الزلزال كذلك ، إلا أن القول مستقبل بالنظر إلى الزلزال لا باعتبار زمن التكلم والقص ، ومن ذلك قولهم : (سِرْتُ حتى أدخلَ المدينة) فالدخول إمَّا أن يكون مترقبًا غير واقع وهو عندئذ مستقبل ، أو أن يكون واقعًا فيما مضى إلا أنه كان مترقبًا عند السير مقصودًا في التقدير لا في الوقوع فهو مستقبل بالنظر إلى السير . معنى ذلك كله أن الاستقبال أو التأويل به يكون بالنظر إلى ما قبل (حتى)[1].

و(حتى) مع الفعل المضارع تفيد أحد ثلاثة معانٍ :

المعنى الأول : التعليل (بمعنى كي) : جاء في شرح المفصَّل : "يكون الفعل الأول سببًا للثاني فتكون (حتى) بمنزلة (كي) وذلك كقولك : أطع الله حتى يدخلك الجنة ، وكلَّمته حتى يأمر لي بشيء ، فالصلاة والكلام سببان لدخول الجنة والأمر بالشيء"[2] . ولا يناقض هذا قول بعضهم من أن (كي) تفيد أنَّ ما بعدها علة لما قبلها [3] ؛ ذلك أن (كي وحتى) يسبقهما ما هو سبب لما بعدهما ، وما بعدهما يكون علة غائية لما قبلها ، وهو الغرض من حدوثه، ففي المثالين السالفي الذكر وقوع الطاعة يتسبب منه دخول الجنة ، وكذا وقوع الكلام يتسبب منه الأمر بالشيء ، ودخول الجنة والأمر بالشيء هما العلة الغائية من الطاعة والكلام .

---

(1) شرح الرضي: ٤ / ٥٦ .

(2) شرح المفصل :٣٠/٧ .

(3) النحو الوافي : ٤ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .

ومن ثَمَّ فإن التعليل بـ(حتى) تعليل بالغرض كما كان ذلك بـ(كي) نحو قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ (البقرة : ٢١٧) والمعنى : كي يردوكم ، وهذا غرض دوامهم على القتال وتعليل له . وقوله : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة : ١٩٣) أي : كي لا تكون فتنة ، وهذا غرض القتال وتعليل للأمر به .

المعنى الثاني : انتهاء الغاية (بمعنى : إلى أن) : تدل (حتى) على الغاية إذا كان المعنى قبلها ممتدًّا مستمرًّا ينقضي تدريجيًّا لا دفعة واحدة ولا سريعًا ، والمعنى بعدها يكون نهاية حقيقية لها يترتب عليه أن ينقطع المعنى الأول ويتوقف بمجرد تحققه وحصوله ، نحو : (يمتد الليل حتى يطلع الفجر) فامتداد الليل يستمر تدريجيًّا إلى أن يظهر الفجر ، وعند ظهوره ينقطع الامتداد ويختفي [١]. ومنه قوله تعالى : ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ (طه:٩١) أي : إلى أن يرجع إلينا موسى .

ومن ثَمَّ فإن الفعل الأول في هذا المعنى يكون متصلًا بالفعل الثاني بعد (حتى) ، ممتدًّا إليه . ولا يلزم هذا في المعنى الأول ، أي أن ما قبل (حتى) المعلِّلة بالغرض (وهو السبب) – على الرغم من أنه يفضي ويؤدي إلى ما بعدها (وهو المسبَّب) – لا يلزم فيه أن يمتد إلى وجود الثاني ؛ إذ يكون معها "الفعل الأول في زمان والثاني في زمان آخر غير متصل بالأول ، وذلك نحو قولك : كلمته حتى يأمر لي بشيء"[٢] ، فالسبب هنا (وهو الكلام) قد وُجِد ، والمسبَّب (وهو الأمر بالشيء) لم يتحقق بعد ، إذ هو مُنتظَر مُرتقَّب .

المعنى الثالث : الاستثناء (بمعنى : إلَّا أن)[٣] : تدل (حتى) على هذا المعنى إذا لم تصلح للدلالة على المعنيين السابقين ، أي إذا لم يكن ما قبلها ممتدًّا متصلًا بما بعدها وهو غاية له، ولم يكن ما بعدها غرضًا لما قبلها ، كقول الشاعر :

لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ[٤]

أي : إلَّا أن تجود .

---

(١) النحو الوافي : ٤ / ٣٣٥ .

(٢) شرح المفصل : ٧/٢٠-٢١ .

(٣) مغني اللبيب : ١ / ١٤٤ .

(٤) مغني اللبيب :١/ ١٤٤ ، الجنى الداني : ٥٥٥ .

ولم يذكر هذا المعنى معظم النحاة إلا ابن هشام الخضراوي وابن مالك[١] .

وأمَّا المضارع المرفوع بعد (حتى) -وهي هنا تكون ابتدائية- فلابد أن يكون حالًا أو مؤوَّلًا بالحال واشترط فيه أن يكون مسببًّا عمَّا قبل (حتى) وأن يكون فضلة . فالحال نحو : (سألت عنك حتى لا أحتاج إلى سؤال) ومن المؤول بالحال (أو الحال المحكية) قراءة نافع : ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ﴾ (البقرة : ٢١٤)[٢] ، فقول الرسول واقع متحقق في الماضي وجاء بصيغة المضارع فكأنه قيل : إلا أن يقول . ومن ذلك قولهم : (مرض زيد حتى لا يرجونه)[٣] ، فـ(لا يرجونه) حال ، وهي حال حقيقية بالنظر إلى زمن التكلم ؛ إذ المعنى : فهو الآن لا يُرجَى ، وعدم الرجاء مُسبَّب عن المرض ، وهو فضلة لأن الكلام قبله تام بالجملة الفعلية . ومن ذلك قولك : (سرت حتى أدخل المدينة) فالحال حقيقية إذا كنت تتكلم أثناء الدخول أو أنك تستطيع إيقاعه حالًا ، أمَّا إذا كان الدخول واقعًا وأنت تحكي لي الآن فالحال مؤولة . ولابد أن يكون السير مؤديًّا إلى الدخول مسببًا إياه ، فلو قيل : (سرت حتى تدخلها) بالرفع دون أن تكون هناك علاقة بين السير والدخول لم يجز [٤]،كما "لا يجوز : (سرت حتى تطلع الشمس) ولا (ما سرت حتى أدخلها) و(هل سرت حتى أدخلها) ، أما الأول فلأن طلوع الشمس لا يتسبب عن السير ، وأما الثاني فلأن الدخول لا يتسبب عن عدم السير ، وأما الثالث فلأن السبب لم يتحقق وجوده"[٥] .

ولا يعني أن يكون ما قبل (حتى) الابتدائية هذه سببًا فيما بعدها أنها بمعنى (كي) فهي لا تفيد التعليل بالغرض ، وإنما هي كالفاء في إفادتها معنى السببية وتصلح الفاء في موضعها ، وهي ابتدائية لا عاطفة لأن (حتى) العاطفة لا تعطف الجمل عند الجمهور[٦]. وعليه فإن قولك: (سِرتُ حتى أدخلَها) معناه : "كان مني سير فدخول ، فليس في هذا معنى (كي) ولا معنى

---

(١) المصدران والصفحتان أنفسهما .
(٢) مغني اللبيب : ١/ ١٤٥ ، الجنى الداني : ٥٥٥ .
(٣) شرح المفصَّل : ٧ / ٣١ .
(٤) الجنى الداني : ٥٥٦ .
(٥) مغني اللبيب : ١ / ١٤٥ .
(٦) الجنى الداني : ٥٥٧ .

(إلَّا أن) وإنما أُخبِرت بأن هذا كذا وقع منك ، فالسبب جميعًا قد مضيا"[1] ، ولو كان المسبَّب غرضًا لنُصِب الفعل إذ الغرض يُطلَب في المستقبل . فإن قيل : إنه (أي المسبَّب الذي هو الدخول) كان غرضًا عند الشروع بالسير ثم مضيا ، رُدَّ عليه بأن الفعل هنا يُنصَب أيضًا ؛ لأنه سيكون من المؤوَّل بالمستقبل ، إذ إنه – عندئذ – يكون مستقبلًا بالنظر إلى السير لا إلى زمن التكلم . فأنت إذا نصبت ما بعد (حتى) "كانت بمعنى الغاية أو بمعنى (كي) وإذا رفعت كان ما قبلها موجبًا لما بعدها"[2] .

ولعل معنى السببية الذي تفيده (حتى) في هذا الموضع ليس واضحًا كما لو وضعت الفاء موضعها ، فقولنا : (لأضربنَّه حتى يتألم) فيه أن الضرب سبب التألم ، إلَّا أن وجود (حتى) هنا يجعل ما يسبق إلى الذهن معناها الغالب في استعمالها عامة وهو الغاية ، لذا سارع النحاة بتفسير ذلك بالفاء لكونها أكثر وضوحًا في إفادة السببية ، فيُقال إن معناه : (لأضربنَّه فيتألم) ، فلا يخفى الفرق في وضوح معنى السببية في الجملتين .

من أجل ذلك لا يكون معنى السببية الذي تفيده (حتى) الابتدائية ما هو كافٍ لجعلها مفيدة للتعليل بالسبب .

ويصدق ذلك على(حتى) الابتدائية الداخلة على الفعل الماضي ، فقولك : (ضرب زيد عمرًا حتى بكى) لا يُفهَم منه إفادة التعليل بالسبب .

ونخلص مما سبق إلى أن(حتى) تفيد التعليل بالغرض إذا كانت داخلة على فعل مضارع منصوب ، والتعليل بها مقتصر عليه .

٢- كأَنَّ : هل تفيد التعليل ؟

(كأنَّ) حرف من أخوات (إنَّ) تنصب الاسم وترفع الخبر ، وتأتي لمعانٍ منها : التشبيه وهو أشهر معانيها والغالب عليها ، ولم يثبت لها أكثر البصريين معنى سواه ، وقال ابن

---

(١) شرح المفصل : ٧ / ٣١ .

(٢) شرح المفصل : ٧ / ٣١ .

مالك هي للتشبيه المؤكد ، فقولك : كأنَّ زيدًا أسد ، أصله : إن زيدًا كالأسد ، فقدمت الكاف وفتحت (إن) فصار الحرفان حرفًا واحدًا يدل على التشبيه والتوكيد[١] .

أمَّا عن إفادة (كأنَّ) للتعليل فقد يحتمله قول الشاعر :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ[٢]

أشار إلى ذلك ابن هشام عند حديثة عن إفادة (كأنَّ) التحقيق ، قال :" أي لأن الأرض، إذ لا يكون تشبيهًا ؛ لأنه ليس في الأرض حقيقة . فإن قيل : فإذا كانت للتحقيق فمن أين جاء معنى التعليل ؟ قلت : من جهة أن الكلام معها في المعنى جواب عن سؤال عن العلة مُقَدَّر"[٣] .

والأجود عند ابن مالك هنا أن الكاف فيها للتعليل كاللام و(أنَّ) للتوكيد [٤] .

وجاء في (شرح التصريح) : "إن الأرض ليس بها هشام حقيقة بل هو فيها مدفون"[٥] . وعليه فإنها تفيد التشبيه .

والأرجح هنا ما ذهب إليه السيوطي من أن هذا من باب تجاهل العارف ، كقول الشاعر:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

وفيه أن (كأنَّ) بقيت على معناها[٦] .

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص : ٨٢) إن (كأنَّ) للتعليل، والمعنى : أعجب لعدم فلاح الكافرين[٧] . والواقع أن في (ويكأنَّ)هنا آراء مختلفة ، منها : أن

---

(١) الجنى الداني : 568 ، مغني اللبيب : ١ / ٢١٥ - ٢١٦ .
(٢) مغني اللبيب : ١ /٢١٦ .
(٣) مغني اللبيب : ١ /٢١٦ .
(٤) الجنى الداني : ٥٧٢ .
(٥) شرح التصريح :١ / ٢٩٥ .
(٦) معاني النحو : ١ / ٣١٤ .
(٧) مغني اللبيب : ١ / ٢١٦ .

(وي) اسم فعل بمعنى : أعجب والكاف حرف خطاب و(أن) على إضمار اللام ، والتقدير فيهما : أعجب لأن ...[1] ، وعليه ليس لزامًا أن يكون التعليل مستفادًا من (كأنَّ) .

ومن ثَمَّ فإن معنى التعليل غير ثابت لها ، بخاصة أننا لم نجد مما يستدل به على تعليلها أكثر مما ذكرنا ، من أجل ذلك لا يتقرر مجيء (كأنَّ) مفيدة للتعليل .

٣- التعليل بـ (لعلَّ) :

وسوف نتناولها في التعليل بالجمل بالفصل الثالث .

(١) الجنى الداني : ٣٥٣ .

obeikandl.com